

الدليل المبسط في علم آباء الكنيسة

2004

القمص تادرس يعقوب ملطي

كنيسة الشهيد مار جرجس باسبورتج

علم الباترولوجي "علم آباء الكنيسة"

يبحث علم الباترولوجي في حياة آباء الكنيسة الأولى وأقوالهم وكتاباتهم وأفكارهم اللاهوتية والروحانية والمسكونية الخ. فإن كان المسيحيون اليوم يشناقون نحو التعرف على إيمان الكنيسة الأولى الجامعة، وإدراك روحها وفكرها، فإن هذا هو عمل علم الباترولوجي، لأن قصة الآباء هي قصة حياة الكنيسة الأولى من كل جوانبها: التبعية والكرامية والرعية والاجتماعية؛ قصة الكنيسة الحية التي تحتضن بالحب الإلهي أولادها، وتواجه العالم الوثني لتدخل به إلى دائرة حب الله بالإيمان، كما تواجه الهرطقة وأصحاب الانقسامات لا تحطيمهم بل لتحطيم ما هو شر فيهم، فنقتتهم أبناء لها، بفكر إنجيلي عملي.

الكتاب الأول: حول علم الآباء

- v مفهوم علم الباترولوجي.
- v تاريخ علم الباترولوجي.
- v لغة الآباء ونصوص كتاباتهم.
- v تصنيف كتابات الآباء.
- v الخط العام للتراث الآبائي.

الكتاب الثاني: بدء القوانين الكنسية والشكل الليتورجي

قانون الإيمان للرسول

الديداكية

الكتاب الثالث: كتابات الآباء الرسوليين

الآباء الرسوليون

1. القديس إكليمنضس الروماني.
2. القديس أغناطيوس الروماني.
3. القديس بوليكاربوس.
4. رسالة برناباس.

5. الراعي لهرماس .
6. الرسالة إلى ديوجينيتوس .
7. بايباس .
8. دفاع كوادراتس .
9. الديداكية .

حول علم الآباء

- ٧ مفهوم علم الباترولوجي.
- ٧ تاريخ علم الباترولوجي.
- ٧ لغة الآباء ونصوص كتاباتهم.
- ٧ تصنيف كتابات الآباء.
- ٧ الخط العام للتراث الآبائي.

مفهوم علم الباترولوجي

موضوع علم الباترولوجي

كلمة "Patrologia" مأخوذة من الكلمة اللاتينية *Pater*، أي "أب"، فعلم الباترولوجي هو العلم الذي يبحث في حياة الآباء الأولين وأعمالهم (أقوالهم وكتابتاتهم) وأفكارهم^[1]. دراسة سيرة الآباء أو حياتهم أمر حيوي، يسندنا في تفهم شخصياتهم ومعرفة الظروف المحيطة بهم، والتي من خلالها سجلوا لنا كتاباتهم^[2]. أما أعمالهم سواء كانت أقوالهم أو كتاباتهم أو رسائلهم، فهي جزء لا يتجزأ من تاريخ حياتهم. أما الجانب الرئيسي في هذا العلم، فهو الكشف عن فكر الآباء وعقائدهم وتعاليمهم، بالدخول إلى روح الآباء والتعرف على النقاط التي ركز عليها كل أب، ودراسة آرائه على ضوء الصراعات المعاصرة له. يلزم دراسة تعاليم كل أب وشروحاته وتعليقاته على ضوء صوت الكنيسة الجامعة، بكونه عضواً في الجسد الواحد. يُلقَّب إبراهيم وإسحق ويعقوب بطاركة "آباء" إسرائيل^[3]، وكان اللقب الرسمي للكنيسة في التقليد اليهودي هو "آباء". وفي كنيسة العهد الجديد نسمع في استشهاد القديس بوليكاريوس جماعات اليهود الوثنيين يصرخون: "هذا هو أب المسيحيين"^[4]. وحين دافع القديس أناسيوس عن استخدام تعبير "أمونسيوس" ذكر أن الآباء استخدموه، قاصداً بتعبير "الآباء" القديسين ديونسيوس السكندري وديونسيوس الروماني وغيرهما^[5].

⊞ عندما يتعلّم إنسان من فم آخر يُقال عنه أنه ابن ذلك الذي يعلمه، ويُحسب الأخير أباه^[6].

القديس إيريناؤس

⊞ الكلام ابن النفس، لهذا ندعو الذين يعلموننا آباء لنا... ويُحسب الذي يتعلّم في خضوع الابن^[7].

القديس إكليمنضس السكندري

في علم الآباء لا يُحصر تعبير "آباء" على الأساقفة والكهنة والشمامسة الذين لهم تراث أدبي روحي أو لاهوتي، وإنما يضم المدافعين عن الإيمان المسيحي في القرون الأولى، كما يضم الرهبان الذين هربوا من الكهنوت لكنهم تلمذوا كثيرين بفكر نسكي إنجيلي.

يُشترط في الأب الآتي:

1. أن يكون له مقالات أو كتب أو رسائل أو أقوال سجلها له أبناؤه.
2. أن يكون أرثوذكسي - مستقيم - المعتد، يعيش بروح الكنيسة. هذا وتستفيد الكنيسة بتراث بعض الشخصيات التي عُرفت بخصوبة إنتاجها مع ارتباطهم بالكنيسة، وإن كانوا قد سقطوا في بعض الانحرافات مثل العلامة ترلتيان وتاتيان وأوريجينوس الخ. كما يعطي علم الباترولوجي اهتماماً بكتابات الهرطقة أيضاً والكتب الأبوكريفا (المزورة) لنتفهم جو الكنيسة الأولى، ونتعرف كيف شهدت الكنيسة للحق بالرغم من مقاومة الهرطقة.
3. قداسة الحياة: فنحن ندرس هذا العلم من أجل التمتع بالحياة الكنسية الإنجيلية الأصيلة.
4. يضع بعض علماء الباترولوجي شرط "الزمن" بمعنى أن يكون الأب منتبهاً إلى الكنيسة حتى زمن معين، حددها البعض بالقرن السادس وآخرون بالقرن الثامن، ويرى آخرون أن عصر الآباء ممتد مادام روح الرب يرافق الكنيسة ويعمل فيها، لهذا لا ينقطع عنها آباء قديسون معلّمون^[8].
5. يضع الكاثوليك شرط القبول الكنسي للأب، لكننا بروح الكنيسة الأرثوذكسية لا نقوم الكنيسة بتقنين "اللاهوت الأبائي" في كل كلمة، ولا تقدّم فهرساً إلزامياً عن الآباء وتراثهم، إنّما تكتفي في مجامعها بفرز الكتابات والآراء المنحرفة إيمانياً وتحذر منها، كما تحرم الهرطقة من شركتها حتى يرجعوا عن ضلالهم.

سلطان الآباء

يمثل الآباء القديسون فكر الكنيسة الجامعة الذي تسلّمته من الرسل بفعل الروح القدس الذي يعمل بلا انقطاع في حياة الكنيسة. يتحدث عنهم القديس أغسطينوس، قائلاً: [تمسكوا بما وجدوه في الكنيسة، عملوا بما تعلموه، وما تسلّموه من الآباء وأدعوه في أيدي الأبناء^[9]] ، [من يحتقر الآباء القديسين ليعرف أنه يحتقر الكنيسة كلّها^[10]].

يقوم هذا السلطان على عاملين: عامل طبيعي، إذ اتسم الآباء بالحياة القدسيّة والأمانة في استلام وديعة الإيمان الحيّ من أيدي الرسل، لذلك هم أقدر على الشهادة للحياة الكنسيّة من كل جوانبها، خاصة وأنهم يحملون الفكر الواحد، بالرغم من اختلاف الثقافات والمواهب والظروف، مع بُعد المسافات بين الكراسي الرسوليّة وصعوبة الاتصالات في ذلك الحين.

والعامل الثاني إلهي، حيث عاش الآباء منحصرين بالروح القدس، قائد الكنيسة ومرشدها إلى كل الحق، يحفظها داخل دائرة صليب المسيح.

هذا لا يعني عصمة الآباء كأفراد، وإنما تعيش الكنيسة الجامعة ككل محفوظة بروح الرب.

كيف نستخدم كتابات الآباء؟

1. لا يقدر أحد من الآباء بمفرده أن يتعرّف على "الحق" كلّ كما تعرّفه الكنيسة في كليّتها، لهذا يليق بنا ألا نقبل رأي أب ما بطريقة مطلقة غير تحفّظ، إنّما يجب أن يكون رأيه إنجيلياً يحمل روح الكتاب المقدّس ومطابقاً لفكر الكنيسة الجامعة.
2. يلزمننا ألا نبتز بعض فقرات من تراث الآباء لتأكيد فكرة مسبقة في أذهاننا.
3. دراسة معاني بعض التعبيرات التي يستخدمها الأب، إذ توجد عبارات أو كلمات كانت تحمل مفاهيم فلسفيّة أو شعبيّة في ذلك الحين.
4. يمكننا فهم بعض العبارات الصعبة الواردة في كتابات أحد الآباء بمقارنتها بما ورد في كتابات وأعمال الآباء المعاصرين له.

الالتجاء إلى تراث الآباء

اعتمد القديس أنثاسيوس على تراث الآباء في دفاعه^[11]، كما اعتمد القديس باسيليوس على كثير من التقاليد الكنسيّة خلال أقوال الآباء السابقين له. تزايد هذا الاتجاه، إيّ التجاء إلى أقوال الآباء السابقين، في القرن الرابع، ونما جدّاً في القرن الخامس^[12]. فالقديس كيرلس السكندري كمثال، في كتاباته إلى الرهبان المصريين^[13] دفاعاً عن لقب القديسة مريم ثيوٲوكوس - لتأكيد أن المولود هو كلمة الله المتأنّس دون انفصال اللاهوت عن الناسوت - أشار إليهم أن يفتقروا آثار القديسين. وفي حديثه ضدّ نسطور^[14] التجأ إلى تعليم الكنيسة المقدّسة الممتدّة في كل العالم وإلى الآباء المكرّمين أنفسهم، معلّناً أن الروح القدس تحدّث فيه. ولتدعيم حديثه عن السيّد المسيح استند إلى بعض مقتطفات أبائيّة في كتاباتهم الجدليّة^[15]، قدّمها إلى مجمع أفسس^[16].

اهتمام الأقباط بكتابات الآباء

كان الأقباط منذ نشأة الكنيسة على صلة وثيقة بالفكر الأبائي للكنيسة الجامعة، فقد قاموا بترجمته إلى لغة الشعب حتى في صعيد مصر، والدليل على ذلك وجود مخطوطات قبطيّة قديمة لكتابات الآباء الرسوليّين، بكر الكتابات الأبائيّة.

تاريخ علم الباتولوجي

أول من استخدم كلمة Patrologia اللاهوتي اللوثري John Gerhard من رجال القرن السابع عشر كعنوان لعمله الذي نشره عام ١٦٥٣، إلا أن فكرة نشر أقوال الآباء تمتد إلى القرون الأولى عينا، ويمكننا - إن جاز لنا ذلك - أن نقسم تاريخ علم الباتولوجي إلى عدة مراحل، وإن كانت هذه المراحل ليست محددة تماماً.

١. بدء ظهور المسيحية

كانت أقوال الآباء في هذه الفترة تمثل نصيباً من التقليد الكنسي، يتقبله كل جيل ويودعه لدى جيل آخر. وهكذا انتشرت أقوال الآباء لا لغرض دراسي ولا كهدف في ذاتها، وإنما كوديعة تحمل داخلها إيمان الكنيسة الحي.

لكن كيف حفظ هذا العصر أقوال الآباء وقام بنشرها؟

١. أقوال الآباء وكتاباتهم بكونها جزءاً لا يتجزأ من وديعة الإيمان التي يتسلمها جيل لكي يسلمها لجيل آخر بغير انحراف. ونستطيع أن ندرك حرص آباء الكنيسة الأولى على ذلك من قول القديس غريغوريوس أسقف نيقية: [يليق بنا أن نحفظ التقليد الذي تسلمناه بالتتابع من الآباء ثابتاً بغير تغيير]، وقول القديس كيرلس الإسكندري: [إنني محب للتعليم الصحيح، مقتفياً آثار آبائي الروحية^[17]].

ب. كان البعض يشغف بتسجيل عظام آبائهم، وجاءت هذه العظام كنفاسير وشروح للأسفار المقدسة أو لعلاج مواضيع روحية أو عقائدية الخ.، مثل عظام القديس يوحنا الذهبي الفم، وعظام القديس أغسطينوس .

ج. امتدت التلمذة - خاصة في مصر - فاحتضنت الكثير من رجال الشرق والغرب. فقد وفد إلى مصر كثير من القادة يتلمذون على أيدي متوحدي مصر أو داخل الأديرة أو بمدرسة الإسكندرية، ويدونون أقوال الآباء وسيرهم وأفكارهم ويترجمونها بلغاتهم من يونانية وسريانية ولاتينية.

نذكر على سبيل المثال القديس يوحنا كاسيان (حوالي ٣٦٠-٤٣٥م) الذي تتلمذ على آباء مصر العظام وسجل خبراتهم في كتابين مشهورين: المناظرات Conferences مع آباء البرية، وقد جعله بندكت كتاب القراءة اليومية للربان الخاضعين له، والمؤسسات أو الدساتير Institutions حيث عالج قوانين الرهينة وناقش كيفية نصره الراهب في الحرب الروحية.

كما جاء المؤرخ الرهباني المشهور "بالاديوس" (حوالي ٣٦٥-٤٢٥م) إلى مصر يتعرف على حياة نساكها والتقى بالقديس ديديموس الضرير مدير مدرسة الإسكندرية اللاهوتية أكثر من مرة، وسجل لنا الكثير من التراث الرهباني في كتابه "التاريخ اللوزياكي" أو "فردوس الآباء".

وسجل لنا روفينوس Rufinus (حوالي ٣٤٥-٤١٠م) في كتابه "تاريخ الرهينة (في مصر) هستوريا موناخوم" أحاديث عن آباء مصر الرهبان، وقد زار مصر عام ٣٧٢م والتقى بالقديسة ميلانيا الكبيرة وزار رهبان البرية. درس لعدة سنوات في مصر، متلمذاً على يدي القديس ديديموس الضرير.

هذا وقد جذبت مدرسة الإسكندرية الكثير من قادة الكنيسة في العالم، فجاجوا إليها أو نقلوا إليهم تراثها يتلمذون عليه.

وبلغ شغف أوسابيوس أسقف فرسيل (بايطاليا) بكتابات أوريجينوس أنه لم يرى فلسفة حقيقية في غيرها.

د. حفظ تراث الآباء عن طريق حركات الترجمة المستمرة خاصة من اليونانية إلى اللاتينية أو السريانية أو الأثيوبية.

هـ. خرج الكثير من الرهبان ومدبرو مدرسة الإسكندرية إلى العالم بروح الكرازة أو تأسيس أديرة في الخارج

حاملين معهم بعضاً من تراثنا.

٢. ظهور مؤرخين كنسيين

يعتبر **يوسابيوس القيصري** (حوالي ٢٦٠-٣٤٠م) أباً لعلم الباترولوجي ومؤسساً لفكر نشر أقوال الآباء وكتاباتهم [18]، حيث أشار في كتابه "التاريخ الكنسي Ecclesiastical History" الذي نُشر عام ٣٢٦م: [هذا هو هدفي أن أكتب تقريراً عن خلافت الرسل القديسين... وأن أشير إلى أولئك الذين - في كل جيل - نادوا بالكلمة الإلهية سواء كان شفاهاً أو كتابةً] [19].

لقد خلق هذا الكتاب "المؤرخين الكنسيين" في الشرق والغرب، إذ حاول كثيرون تكلمة هذا العمل. نذكر منهم سقراط Socrates وسوزومين Sozomen وثيودرت Theodert الذين جاءت أعمالهم متقاربة إلى حد ما، لكنهم تجاهلوا الكنيسة الغربية اللهم إلا فيما يخص علاقتها بالكنيسة الشرقية. وفي الغرب قام روفينوس Rufinus بترجمة يوسابيوس إلى اللاتينية، وأضاف إليه بعض الأحداث حتى عصر ثيودوسيوس الكبير عام ٣٩٢.

٣. ظهور كتاب "مشاهير الرجال"

جمعه **القديس جيروم** في السنة الرابعة عشر من حكم ثيودوسيوس، أي عام ٢٩٣م، لطلب صديقه Dexter. حيث أراد بعمله هذا أن يرد على سيلسوس Celsus وبروفري Propyry ويوليان Juluan وغيرهم من الوثنيين في اتهاماتهم المستمرة بأن المسيحيين قليلو الذكاء، فسجل جيروم الكتاب الذي يعترّ بهم الأدب المسيحي (حتى عام ٣٧٩م) في ١٣٥ فصلاً، حيث بدأ بالعصر الرسولي وانتهى بنفسه في السنة التي وضع فيها هذا العمل، مقدّمًا في كل فصل عرضاً لسيرة الكاتب وتقييماً لأعماله.

ويلاحظ في هذا الكتاب *De Viris Illustribus* :

١. اعتمد القديس جيروم في الثمانية وسبعين فصلاً الأولى على تاريخ يوسابيوس اعتماداً كبيراً. وقد ردّد نفس أخطائه، ومع هذا يعتبر عمله مصدرًا أساسيًا في المؤلفات الكنسية الأولى، إذ هو المصدر الوحيد الذي بين أيدينا - إلى الآن - عن بعض الكتاب القدامى مثل مارقوريوس فيلكس Marcuis Felix ونوفاتيان وترتليان وغيرهم.

ب. في مقدّمته حدّد جيروم مجال عمله وهو "أولئك الذين كتبوا عن الكتاب المقدس"، لكنه إذ بدأ عمله شمل الكتاب في الأمور اللاهوتية.

ج. ما أن نشره حتى عبر **القديس أغسطينوس** [20] عن أسفه أن جيروم لم يفصل بين الكتاب الأرثوذكس والهرطقة. فقد حمل بين المؤلفين أسماء هرطقة مثل تاتيان Tatian وبريسكيليان Priscilian و Basdesanes والأريوسي المتطرف أونوميوس وفلاسفة وثنيين مثل سينيكا Seneca ويهودًا مثل فيلون الإسكندري ويوسيفوس.

د. لم يقدّر جيروم بهذا العمل لأغراض علمية بل لتحقيق أغراض عملية، لهذا قدّم تعريفًا مختصرًا عن بعض الكتاب غير المعروفين، وفي نفس الوقت جاءت كتاباته مقتضبة جدًا وتافهة بالنسبة لبعض الكتاب المشهورين مثل القديسين أنثاسيوس الرسولي وباسيليوس القيصري وكبريانوس وغريغوريوس أسقف نيقية وأبيفانوس وأميروسيوس.

هـ. تجاهل جيروم كتابات أغسطينوس التي ظهرت في ذلك الوقت، ولعلّ سرّ هذا اختلافهما في بعض وجهات النظر.

بقي كتاب جيروم خلال أكثر من ألف عام موضع اعتبار مؤرخي المؤلفات المسيحية الأولى في الغرب، ناظرين إليه كأساس لكل دراستهم، مشتاقين إلى تكميل هذا العمل، فقد قام **Prosper Aquitanus** صديق أغسطينوس بتكملة عمل جيروم حتى عام ٤٤٩م. إلا أن عمل جيروم بقي مقترنًا بالتكملة التي قام بها جيناديوس Gennadius، وهو كاهن مرسيليا (تتبع عام ٤٩٦م) الذي إتبع نفس الروح في كتابته، ويلاحظ عليه:

١. عمل ضئيل وغير منظم، فعمله ككل يعتبر أقل أهمية من عمل جيروم.

ب. شمل عمله ٩٩ فصلاً حيث استمرّ إلى عام ٤٩٥م، خاتمًا كتابه بفصل آخر عن كتاباته هو.

ج. كان جيناديوس نصف بيلاجي، وقد ظهر ذلك في انطباعاته على وصفه وتعليقاته بصورة أو أخرى، ومع ذلك فإنه يُعتبر رجلاً واسع الإطلاع.

قام بعد جيناديوس كثيرون يقدمون أعمالاً تحمل ذات المنهج، نذكر منهم ايسيدورس Isidore of Seville (تتبع عام 636) الذي أعطى اهتماماً خاصاً بالكتاب الأسبان^[21]، والأسقف Ildephonsus of Toledo (تتبع عام 667م). وفي أواخر القرن الحادي عشر وأوائل القرن الثاني عشر قام مؤرخ سير الآباء البندكي Sigebert of Gembloux ببلجيكا بمحاولة جديدة لتقديم المؤلفات المسيحية بصورة معاصرة لزمانه. وفي عام 1122م قام هونوريوس Honorius Ausgusodunum بعمل مشابه تحت اسم "الكنيسة المنيرة De Luminaribus Ecclesiae". وحوالي عام 1494م أمدنا الأب تريموس John Trithemius بسير 963م من الآباء والكتاب مع تفصيل لكتاباته، منهم من هم غير لاهوتيين. وقد تقبل معلوماته عن الآباء الأولين من جيروم وجيناديوس.

كان تريموس أباً لدير بندكتي في Sponheim، حصل على شهرة فائقة إذ جمع مكتبة من حوالي 2000 مجلد، وكان بعض النبلاء يزورونه لقراءة الآباء اليونان واللاتين^[22]. وقد احتضن الشماس Myraus هذا العمل وهذبه. ثم جاء بعد ذلك الكاردينال R. Bellarmine الذي أعطى اهتماماً خاصاً للأدب الكنسي القديم بطريقة علمية.

هذا عن الغرب، أما بالنسبة للشرق فقد قام البطريرك فوتيوس Photius بطريرك القسطنطينية الذي تتبع عام 891م بعمل مماثل تحت عنوان Photil Bibliotheca يمتاز بالدقة كما يحوي أعمال بعض المؤلفين الوثنيين.

أما في الكنيسة القبطية قام بعض المؤرخين مثل يوحنا النقيوسي وغيره، كما اهتم الأقباط بنسخ كتابات الأولين... وفي القرن الخامس عشر قام في القسطنطينية سيفورس كاستي بن كاستوس يلخص الأعمال السابقة لأسلافه ويضع تاريخاً للكنيسة منذ نشأتها حتى عام 911م. استخدم كتابات يوسابيوس وأضاف سير بعض الرهبان، وقد عبر عبوراً سريعاً في حديثه عن الكنيسة اللاتينية بعد القرن الخامس الميلادي.

٤. مرحلة علمية جديدة

انطلقت مرحلة جديدة في علم الباتولوجي في القرنين السادس عشر والسابع عشر بظهور أول تجمعات للمؤلفات الكنسية القديمة ونشرها في طبعات ممتازة.

وجاء القرن التاسع عشر بفيض من الاكتشافات الجديدة في نصوص الآباء الشرقيين، وبدأ ظهور إحساس بضرورة وجود طبعات مدروسة ومضبوطة علمياً. وقد افتتحت أكاديميات فيينا وبرلين هذا العمل بطبع مجموعات محكمة للآباء الشرقيين والغربيين. كما قام الدارسون الفرنسيون بنشر طبعات لأعظم مجموعتين للمؤلفات المسيحية الكنسية الشرقية، وأنشأت كثير من جامعات الغرب كراسي خاصة بعلم الباتولوجي. وكان من ثمر هذا كله أنه بدأ يظهر في كنيسة الغرب في القرن العشرين اتجاهًا لدراسة فكر الآباء ومفاهيمهم واصطلاحاته وعقائدهم.

نصيبنا في علم الباتولوجي

يتطلع الغربيون إلى كنيسة مصر وكرسي الإسكندرية كينبوع حي يفيض على العالم المسيحي بالكثير من التراث الآبائي، نصوصاً وروحاً.

ففي أواخر العصور الوسطى وبداية العصر الحديث حمل علماء الغرب كنوز أديرتنا إلى متاحفهم وجامعاتهم، وصارت مادة أساسية في قيام علم الباتولوجي. وإلى اليوم لا تزال مخطوطات مصر وأوراق البردي المصرية تفتح آفاقاً جديدة في علم الباتولوجي، وكما قال Quasten الأستاذ بجامعة أمريكا الكاثوليكية بواشنطن إننا نشكر مصر التي قدمت لنا الكثير من أوراق البردي تحمل إلينا مقالات كنا مجرد نسمع عنها في كتابات القديس إيريناؤس وغيره. وقد ختم حديثه عن تاريخ علم الباتولوجي بقوله: [علاوة على هذا فإن أوراق البردي المصرية المكتشفة حديثاً قد أعادت للدارسين أعمال آبائية مفقودة^[23]]. يتحث الأب Jungmann في كتابه The Early Liturgy عن بركات رمال مصر في الكشف عن الليتورجيات والكتابات الآبائية القديمة.

بقي لنا أن ندرك أن كنيسة الإسكندرية - حسب شهادة الغرب ذاته - لا تزال تحيا بالروح الأبائية الأصيلة، تستطيع أن تنتفع بالأبحاث العلمية التي قام بها الغرب في هذا المجال، بكونها دعوة لاسترجاع الكنيسة في المسكونة كلّها إلى فكرها الأول.

ظهور "علم الباترولوجي" وانتشار كتابات الآباء ما هو في الحقيقة إلا نوعاً من "الحركة الأرثوذكسية" في بيئة غير أرثوذكسية، تحتاج منا إلى الاهتمام بها والانتفاع منها بطريقة روحية كرازية.

لغة الآباء ونصوص كتاباتهم

عند انتشار المسيحية كانت اللغة اليونانية هي اللغة السائدة في منطقة البحر الأبيض المتوسط، خلال القرون الأولى للإمبراطورية الرومانية. فقد غزت الثقافة الهيلينية العالم الروماني، حتى يصعب علينا أن نجد بلدًا في الغرب لم يستخدم اليونانية في التعامل اليومي. لهذا ننظر إلى اليونانية كلغة أساسية في كتابات الآباء. لم يستخدم الآباء اليونانية الفصحى (Classical) التي كان الإغريق يستخدمونها في الكتابة والشعر وتدوين الحوادث التاريخية، وإنما يستخدمون لغة دارجة (كوييني Koine) والتي أصبحت من سنة ٣٠٠ ق.م. حتى سنة ٥٠٠م اللغة الرسمية للإمبراطورية الرومانية، ولغة الكتاب المقدس، ولغة آباء الكنيسة الأولى^[24]. وهي خليط بين الأدب الأثيني الفصيح والعامية. لكن اليونانية أبطلت في الشرق وحلت القبطية والسريانية والأرمنية، كما أبطلت في الغرب وحل محلها اللاتينية.

لغة آباء مصر

كان بعض المصريون يفضلون الكتابة باليونانية بجانب المصرية (الديموطيقية) لأسباب كثيرة نذكر منها^[25]:

1. سهولة اليونانية عن الديموطيقية.
2. كانت اليونانية لغة الدولة الرسمية، هذا استلزم تدوين الوثائق بها، سواء كان كاتبها يعرف اليونانية، فيكتبها بنفسه، أو يجهلها فيستخدم كاتبًا لهذا الغرض.
3. من الطبيعي كان الأهالي يقتبسوا الكثير من لغة الحكام، حتى في تعاملهم اليومي.
4. كانت اليونانية هي لغة المتعلمين في البلاد الكبرى.
5. كانت اليونانية هي لغة الكنيسة والمجامع المسكونية.

نبتت فكرة تدوين اللغة المصرية بحروف يونانية مع الاستعانة ببعض الحروف الديموطيقية، فخرجت اللغة القبطية كأخر تطورات اللغة المصرية (الفرعونية)، وفي القرن الثاني قام العلامة بتينوس بترجمة الكتاب المقدس إلى القبطية بمساعدة تلاميذه وعلى رأسهم القديس إكليمنضس الإسكندري. وترجمت جميع المؤلفات المصرية إلى القبطية قبل القرن الخامس الميلادي.

وبلاحظ أن الأقباط لحرصهم على حفظ المعنى اللاهوتي لبعض المصطلحات استبقوها باليونانية حتى عند كتابتهم بالقبطية. ويقول Warrell أن القبطي يستكف ترجمة المصطلحات اللاهوتية^[26].

وإذ جاءت اللغة العربية بدأت محل اللغة القبطية ففضت عليها، ثم عادت القبطية في الازدهار في القرن الثامن. وأخذت الكتابة القبطية منذ القرن الثاني عشر تظهر في نهرين بالقبطية والعربية^[27]. وفي القرن السادس عشر انطفأ نور استعمالها كلغة للتكلم في الوجه البحري، وبقيت حتى القرن السابع عشر لغة التكلم في الوجه القبلي. في القرن الثالث عشر صارت اللغة العربية هي اللغة السائدة في المؤلفات اللاهوتية والكنسية للقبط. يجدر بنا أن نذكر في هذا المجال أن الآباء الرهبان القبط عرفوا بالتقوى وإنكار الذات، فمالوا إلى الحياة أكثر من تدوينها، وجاء الكثير من أقوالهم الرهبانية عن طريق الوافدين إليهم من الشرق والغرب بلغات متعددة كاليونانية واللاتينية والسريانية.

تصنيف كتابات الآباء

يمكن تصنيف كتابات، خاصة في القرون الخمسة الأولى، على أساس زمني، فيرى البعض أن أول مجمع مسكوني (٣٢٥م) مع تحول الإمبراطورية الرومانية إلى المسيحية يُعتبر خطأً فاصلاً بين نوعين من الآباء من جهة كتاباته وتراثهم:

1. آباء ما قبل نيقية، يتسم تراثهم بالبساطة الشديدة.
2. آباء ما بعد نيقية.

كما يمكن تقسيم كتابات الآباء على أساس اللغة التي كتبوا بها:

1. آباء يونان (شرقيون) حيث كتب غالبية الآباء الشرقيون باللغة اليونانية بجانب كتابات البعض بلغاتهم القومية كالفبظية والسريانية والأرمنية.
2. آباء لاتين (غربيون).

ويقسم البعض الكتابات حسب المناطق:

1. كتابات آباء مصر، خاصة مدرسة الإسكندرية وآباء البرية.
2. الآباء الأنطاكيون (السريان).
3. الآباء الكبادوك.
4. الآباء اللاتين.

كل مجموعة تحمل فكرةً خاصاً واهتمامات خاصة تتناسب الظروف المحيطة بها، لذا جاءت كتابات كل منها إلى حد ما لها طابعها الخاص.

أحياناً يقوم التقسيم حسب مادة الكتابة:

1. كتابات دفاعية.
2. تفسير للكتاب المقدس.
3. عظات ومقالات.
4. رسائل.
5. ليتورجيات كنسية.
6. كتابات شعرية وتسابيح.
7. حوار أو ديالوج.
8. نسكيات.
9. قوانين كنسية.
10. كتابات تاريخية.

يميل بعض الدارسين إلى وضع تقسيم يمتلئ مزجاً بين التصنيفات السابقة.

الخط العام للتراث الآبائي

J. Quasten يمكننا تقديم التراث الآبائي في مراحل خمس مسترشدين في ذلك بالتقسيم الذي اتبعه العالم كواستن

بشيء من التعديل:

١. بدء الأدب المسيحي الآبائي

يضم هذا القسم:

1. بدء القوانين الرسولية والشكل الليتورجي حيث كانت كنيسة العهد الجديد تحتاج إلى هذا النظام لتمارس حياتهما التعبدية ووجود دستور لسلوكها.
2. كتابات الآباء الرسوليين في القرن الأول وبداية الثاني بكونها بدء انطلاق للتراث خلال من تتلمذوا على يديّ الرسل وسموهم.
3. فرزت الكنيسة الكتب الأيوكريفا عن الأناجيل وبقية أسفار العهد الجديد القانونية.
4. نظم المسيحيون الأوائل شعراً للتسبيح للتعبير عن مشاعر حبهم لله مخلصهم.
5. كتب بعض أبنائها سير الشهداء، فظهرت أول أعمال الشهداء.
6. ظهرت أعمال المدافعين Apologists، كما ظهرت كتابات للرد على الهرطقات.

٢. كتابات ما بعد إيريناؤس إلى ما قبل مجمع نيقية (٣٢٥ م)

1. إذ كانت الإسكندرية أكبر مركز هيليني فلسفي، مدرسة الإسكندرية الفلسفية، التزمت الكنيسة منذ عهد القديس مرقس الرسول بإنشاء مدرسة مسيحية قادرة على مواجهة التيار الهليني القوي، فظهرت مدرسة الإسكندرية بأبائها الذين لمعت أسماؤهم في الشرق والغرب.
2. ظهر آباء آسيا الصغرى وسوريا وفلسطين، ونشأت مدرسة أنطاكية التي تبنت التفسير الحرفي للكتاب المقدس كمقابل لمدرسة الإسكندرية التي عُرفت بالتفسير الرمزي، كما ظهرت مدرسة قيصرية.
3. بدأ الأدب اللاتيني المسيحي على يدي مينويسيوس فيلكس وهيبوليتس الروماني ونوفاتيان ولرسائل أساقفة روما.
4. من الشخصيات الأفرافة المسيحية ترتليان والقديس كبريانوس وأرنوبيوس ولاكتانتوس.

٣. العصر الذهبي والآباء الشرقيون

- تعتبر فترة ما بين مجمع نيقية سنة ٣٢٥م ومجمع خلقيدون سنة ٤٥١م العصر الذهبي للكتابات الآبائية الشرقية.
1. في مصر ظهرت كتابات القديسين البابا الكسندروس الذي واجه أريوس المبتدع، والبابا أثناسيوس الرسولي، وسيرابيون أسقف تيمي، وديديموس الضرير، والبابا ثاوفيلس، والبابا كيرلس الكبير الخ. كما ظهرت كتابات مؤسسي الحركة الرهبانية في مصر (وكتابات الذين جاءوا إلى مصر ليمارسوا الحياة الرهبانية ويسجلوا أقوال آباء البرية في مصر) مثل القديسين ابنا أنطونيوس الكبير وأمونيوس وباخوميوس أب الشركة وهوريسيوس وثيودور (تادرس) ومقاريوس المصري وأغريس من بنطس وبالاديوس واسيدوروس بالبلسم وشنودة بأثريب.
 2. في آسيا الصغرى نجد يوسابيوس النيقوميدي وثيوجنيس من نيقية وأوستيروس السوفسطائي ومارسيلوس بأنقرة وباسيليوس بأنقرة.
 3. ظهر آباء الكبادوك العظام مثل القديسين باسيلوس الكبير وجرغوريوس النزينزي وجرغوريوس أسقف نيصص وأمفيلوخوس أسقف ايكونيم وأوستيروس من أماسيا.

4. في أنطاكية وسوريا أوستاتيوس الأنطاكي وأتيوس الأنطاكي وأنوميوس من Cyzicus ويوسابيوس القيصري وجلاسيوس القيصري ويوسابيوس من أميسا.
5. ظهر كيرلس الأورشليمي وأبوليناريوس من لادوكيا وأبيفانيوس أسقف سلاميس وديودور الطرسوسي وثيودور من المصيصة ويوحنا الذهبي الفم وأكاكيوس من Beroea وأنتيخوس من بتلاميس وسيفريان من جبالة ومقاريوس ماجنيس وهستيخوس الأورشليمي ونيلس من أنقرة ومرقس الناسك وبروكليس من القسطنطينية وباسيليوس من سيليكيا.
6. ظهر أيضًا المؤرخون الكنسيون مثل فيليب Philip Sidetes وسقراط وسوزومين وثيودورت أسقف قورش.

٤. آباء الغرب في القرنين الرابع والخامس

أشهرهم القديسون هيلاري أسقف بواتيه وأمبروسيوس أسقف ميلان وأغسطينوس أسقف هيبو وجيروم ورفينوس ويوحنا كاسيان.

٥. كتابات ما بعد مجمع خلقيدونية

إذ عزل مجمع خلقيدون الشرق عن الغرب إلى حد ما اهتمت الكنائس اللاخليدونية بالكتابة عن طبيعة السيد المسيح، وقد برز قادة عظماء في ذلك. يقول ميندورف: إخلال النصف الثاني من القرن الخامس والنصف الأول من القرن السادس، قد ساد عظماء اللاهوتيين (المونوفزيت)^[281] على المسرح وهم تيموثاوس أوليروس وفليكسينوس أسقف منبج Mabbug، وعلى وجه الخصوص ساويرس الأنطاكي، ولم يكن لدى الخلقيدونيين لاهوتي واحد بارز يقف أمامهم.^[29]

بعد دخول العرب مصر وبقية منطقة الشرق الأوسط تحول اهتمام الشرقيين إلى الحوار مع المسلمين وجاءت القرون ١١-١٣ غنية بالتراث المسيحي المصري في ذلك المجال. أما الكنائس الخلقيدونية فواجهت مشاكل من نوع آخر مثل محاربة الأيقونات وانبثاق الروح القدس الخ.

الكتاب الثاني

بدء الأدب المسيحي الآبائي

بدء القوانين الكنسية والشكل الليتورجي

قانون الإيمان للرسل *Symbolum Apostolicum* The Apostles' Creed

قانون الإيمان في الكنيسة الأولى

قانون الإيمان في العهد الجديد

الإيمان المسيحي هو حياة يمارسها العضو الحيّ خلال إتحاده مع الله في المسيح يسوع بالروح القدس داخل الكنيسة. هذه الحياة لا يحدها قانون ولا تسجلها لغة بشرية. لكن الضرورة ألزمت الكنيسة منذ انطلاقتها أن تترجم إيمانها في قانون، لا لكي يحفظه الناس عن ظهر قلب أو يردده المؤمنون أثناء العبادة الليتورجية والخاصة، إنما لكي يعيشونه خبرة حية.

يقول القديس هيلاري^[30]، نحن ملتزمون أن نتكلم بما لا يُنطق به. عوض هيام الإيمان المجرد نلتزم أن نعهد أمور الدين إلى مخاطر التعبير البشري.

لقد سأل السيد المسيح تلاميذه عن إيمانهم فيه، فاعترف بطرس أنه "هو المسيح ابن الله الحيّ" (مت ١٦ : ١٦). ولعل هذه الشهادة قدمت الفكرة الرئيسية لإيجاد قانون إيمان كنسي يعلن "حقيقة السيد المسيح المخلص". مرة أخرى جمع السيد تلاميذه وأعطاهم سلطاناً للكراسة والتعليم والعماد قائلاً: "اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس" (مت ٢٨ : ١٩)، مقدماً لهم صيغة قانون الإيمان الثالوثي الخاص بالعماد. هكذا سجل لنا العهد الجديد صيغة الإيمان بالمسيح وصيغة الإيمان الثالوثي، هاتان الصيغتان هما جوهر إيمان الكنيسة، وحجر الزاوية لكل قانون إيمان كنسي.

فكرة تاريخية^[31]

أ. إذ انطلقت الكنيسة في عصر الرسل تركز وتبشر العالم بالخلاص كان لزاماً أن يعترف كل موعوظ بأيمانه جهراً في صيغة مختصرة قبلما يتقبل العضوية في جسد المسيح، أي قبيل عماده مباشرة. وذلك كما فعل الخصي الأثيوبي (أع ٨ : ٣٧) حين أعلن رغبته في العماد معترفاً "أنا أؤمن أن يسوع المسيح هو ابن الله".

ظهر "قانون الإيمان الكنسي" كصيغة خاصة بالمعمودية، يعترف بها طالب العماد معلناً قبوله الحق ودخوله "الحياة في المسيح يسوع". في الدوائر اليهودية كان يكفي لطالب العماد أن يعلن هذا القانون الإيماني البسيط أن "يسوع هو المسيا"، أي هو المخلص الذي انتظره الآباء وشهد عنه الأنبياء، فيه كملت الشريعة وتحققت مواعيد الله للبشرية. أما بالنسبة للأمم، إذ لم تكن لهم الشريعة ولا عرفوا النبوات عن المسيا يعبدون آلهة كثيرة وأرباب كثيرة، كان لزاماً على طالب العماد أن يعلن حقيقة إيمانه بأكثر وضوح: إيمانه بالله الواحد المثلث الأقانيم، وعمل المسيح الخلاصي ...

ب. إذ ظهرت غنوصيات غير أرثوذكسية تنادي بالثنائية، تحقر من المادة وتشوه حقيقة التجسد الإلهي، لم يعد "قانون الإيمان" في صورته الأولى كافياً، أي لا يكفي إعلان أن "المسيح ابن الله الحيّ" إنما يلزم الاعتراف بـ "الحبل به من الروح القدس، ولادته من العذراء مريم، تألمه في عهد بيلاطس بنطس وموته ودفنه (وليس كما علم الغنوصيين أنه اختطف إلى السماء من على الصليب أو قبيل صلبه)، وأن الروح القدس حال في الكنيسة ...

يظهر هذا الأثر بصورة واضحة في قانون الإيمان للقديس هيبوليتس المستعمل في العماد، فقد جاء في التقليد الرسولي للقديس هيبوليتس أن طالب العماد يُسأل ثلاثة أسئلة ويجب عليها^[32]:

ينزل (طالب العماد) في الماء، ويضع المعمد يده على رأسه قائلاً: أتؤمن بالله ضابط الكل؟

يقول الذي يُعتمد: أؤمن. عندئذ يعمده دفعة (يغطسه) واضعاً يده على رأسه.

بعد ذلك يقول له: أتؤمن بيسوع المسيح ابن الله، الذي وُلد بالروح القدس من العذراء مريم، وصُلب في عهد بيلاطس البنطي ومات من الأموات حياً في اليوم الثالث وصعد إلى السموات وجلس عن يمين الآب، هذا الذي يأتي لبيد الأحياء والأموات؟

وعندما يقول: أؤمن، يعمده دفعة أخرى.

وأيضاً يقول له: أتؤمن بالروح القدس وبالكنيسة المقدسة وقيامته الجسد؟ فيقول الله يُعتمد: أؤمن، فيُعتمد الدفعة الثالثة.

ج. إذ بدأت الهرطقات والبدع تنتشر لم يعد "قانون الإيمان" خاصاً بطالبي العماد، إنما صارت الحاجة ملحة لاستعماله الكنسي في العبادة الليتورجية والعبادة الخاصة. بدأت المجمع المسكونية تضع قانون الإيمان، لأهداف دفاعية وتعليمية. ففي مجمع نيقية وُضع قانون الإيمان يحارب الأريوسية.

فإنه وإن اقترب من قانون الإيمان الأورشليمي العمادي القديم، لكنه أضاف إلى الفقرة الثانية الخاصة بالسيد المسيح هذه الصيغة: "تو من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، واحد مع الآب في الجوهر". هذه الصيغة لا يستطيع الأريوسيون أن ينطقوا بها، فتفرزهم عن المؤمنين. بهذا قدم مجمع نيقية للكنيسة صيغة لاهوتية مبسطة تعلن إيمان الكنيسة، يعترف بها المسيحيون ويترنمون بها ويصلونها، وليست اختباراً لطالبي العماد.

وفي المجمع المسكوني الثاني بالقسطنطينية أُضيف إلى قانون الإيمان النيقوي صيغة خاصة بالروح القدس: "الرب المحيي، المنبثق من الآب، نسجد له ونمجده مع الآب والابن، الناطق في الأنبياء ...".

بهذا صار قانون الإيمان ملخصاً للإيمان الأرثوذكسي أكثر منه اعترافاً يردده طالبا العماد.

قانون الإيمان الرسولي Apostolic Creed

قانون أم المنسوب إلى الرسل له أهمية خاصة في الكنيسة الغربية، إذ تعتبره أساس قوانينها، كما يقول **Schaff**^[33] "هو قانون القوانين كما أن الصلاة الربانية هي صلاة الصلوات".
هذا القانون هو صيغة مختصرة جدًا، سُجّلت بلغة العامة لا باصطلاحات لاهوتية، تناسب الموعوظين كما يمكن استخدامها في العبادة الليتورجية والخاصة.
يتكون هذا القانون من إثني عشر بندًا من وحي العهد الجديد، تلخص العقيدة المسيحية ولاهوتيات الكنيسة، وتجسم تعاليم الرسل. هو رسولي بحق في محتوياته كما في روحه، ليس من وضع الرسل. هو كنسي، ليس من عمل فرد من الأفراد، لكن لا يزال تاريخه غامضًا وحقيقة مصدره غير معروفة.
شمل هذا القانون ملخصًا للحقائق الإلهية منذ بدء الخليقة حتى قيامة الجسد ودخوله الأبدية، يقدم لنا الإيمان بالثالوث القدوس ويركز أنظارنا تجاه المسيح المخلص ...

مصدره

يقول **Clarke**^[34] أن قانون الإيمان للرسل لم يكن يتلى في صلوات باكر وصلاة النوم قبل القرن الثامن... وانه ليس إلا امتداد لقانون الإيمان العمادي الروماني.
ويرى **Schaff**^[35] أنه لم يكن موجودًا بصورته الحالية إلا في القرن الرابع، لكنه وجد في القرنين الثاني والثالث بصيغة أو أخرى ...
ويرى **Quastan**^[36] أن القانون بصورته الحالية لا يمتد إلى قبل القرن السادس، استخدم في بلاد الغال (فرنسا) وأسبانيا وأيرلندا وألمانيا في الدراسات التمهيدية الخاصة بالموعوظين.
على أي الأحوال نستطيع أن نقول مع المؤرخ **شافف Schaff** أن قانون الإيمان للرسل جاء بلا شك نتيجة نمو تدريجي، يحمل شكلين:

1. **الشكل الحالي**، أو النص المسلم إلينا حاليًا، لم يظهر قبل القرن السادس أو السابع.
2. **الشكل البدائي** كما ورد في بعض المخطوطات القديمة، يرجع إلى القرن الثاني أو الثالث. ولعل أقدم نص يوناني وصل إلينا ما ورد في رسالة مارسيلوس من أنقرة إلى أسقف روما يوليوس الأول حوالي عام ٣٤٠م يؤكد أرثوذكسيته. وقد ورد ضمن **"Psalterium Aethelstani"**^[37]. أما النص اللاتيني فقد ذكره **روفينوس**^[38] المؤرخ الكنسي في نهاية القرن الرابع في تعليقه على قانون إيمان الرسل *Commentary on the Symbol of the Apostles* موضحة أصله، إذ يقول أن هناك تقليد بأن الرسل بعد قبولهم الروح القدس وقبل خروجهم للكراسة اتفقوا معًا على ملخص مبسط للتعليم الرسولي كأساس لكرائتهم وقانون إيمان المؤمنين.
ويبدو أن **القدّيس أمبروسيوس** شاركه نفس الرأي عند شرحه للقانون، مشيرًا إلى أن الأثني عشر بندًا تطابق الإثني عشر رسولاً.

وفي القرن السادس للمرة الأولى نلتقي بتأكيدات أن كل رسول وضع بندًا من الإثني عشر، فجاءت العظة المنسوبة للقدّيس **أغسطينوس**^[39] تعلن أصله: "قال بطرس أو من بالله الأب ضابط الكل خالق السماء والأرض ... وقال اندراوس وبالمسيح يسوع ابنه الوحيد ربنا ... وبقي هذا التفسير سائدًا خلال العصور الوسطى."

دهشت الكنيسة الغربية عندما أعلن رئيس أساقفة أفسس لليونان مارقيوس افجينيكوس Marcus Evgenicus في مجمع Ferrara عام ١٤٣٨ أن الكنائس الشرقية لا تعرف شيئاً عن صيغة هذا القانون المستخدم في الكنيسة الغربية، ولا عن نسبه للرسل.

بعد سنوات قليلة أنكر الإيطالي Lorenzo Valla نسبه للرسل.

يقول F. L. Cross^[40] أن هذا القانون يخص فترة ما بعد الرسل، لكنه سمي رسوليًا لأن عناصره جميعها تعبر عن الإيمان في عصر الرسل.

حول قوانين الإيمان الأولى

يقدم لنا علم الباترولوجي الكثير من صيغ قوانين الإيمان التي جاءت خلال كتابات الآباء الشرقيين والغربيين، نذكر منها ما ورد في كتابات:

1. أيريناؤس أسقف ليون سنة ١٨٠ م
2. العلامة ترنتيان قرطاجنة سنة ٢٠٠ م
3. كيريانوس قرطاجنة سنة ٢٥٠ م
4. نوفتيان روما سنة ٢٥٠ م
5. أوريجين الاسكندرية سنة ٢٥٠ م
6. غريغوريوس قيصرية الجديدة سنة ٢٧٠ م
7. لوقيانوس انطاكية سنة ٣٠٠ م
8. يوسابيوس قيصرية سنة ٣٢٥ م
9. مارسيلوس أنقرا سنة ٣٤٠ م
10. كيرلس أورشليم سنة ٣٥٠ م
11. ابيفانيوس قبرص سنة ٣٧٤ م
12. روفينوس سنة ٣٩٠ م

13. القانون الوارد في القوانين الرسولية Apostolic Constitutions

وقد امتازت النصوص الشرقية عن الغربية أنها بصورة عامة أطول وأكثر تغييراً، لها جانب ميتا فريقي، وتشمل عددًا من التعبيرات التعليمية رداً على الهرطقات المنتشرة في الشرق.

وقد تجمعت القوانين الغربية لتشكل ما يعرف بقانون إيمان الرسل.

يرى Quasten أن هذا القانون الروماني والصيغ الشرقية ظهرت مستقلة عن بعضها البعض، لكنها صدرت عن أصل عام مشترك له جذوره في الشرق.

محتوياته

كانت قوانين الإيمان الأولى تضم صيغتين رئيسيتين: صيغة الإيمان الثالوثي، وصيغة الإيمان المسياني. وإن كان قانون الإيمان للرسل في صورته الحالية تطور إلى ملخص مبسط جدًا يحمل التعاليم المسيحية الجوهرية.

1. صيغة الإيمان الثالوثي

رأينا السيد المسيح يعطي تلاميذه سلطان العماد باسم الثالوث القدوس، وكان ذلك بداية ظهور قانون الإيمان العمادي بصيغة الإيمان الثالوثي. وفي حوالي عام ١٥٠ م أشار القديس يوستين إلى طالبي العماد أن يتقبلوا غسل الماء "باسم الله الأب ورب المسكونة، ومخلصنا يسوع المسيح، والروح القدس"^[41].

وجاءت الوثيقة المدعوة "الرسالة الرسولية Epsitola apostolorum" التي جُمعت في نفس التاريخ تقريبًا تبسط الإيمان، وتضم قانون إيمان لا يحوي فقط الإيمان بالثالوث القدوس، الأب ضابط العالم كله، المسيح يسوع مخلصنا، والروح القدس الباراقليط، إنما يضم أيضًا الإيمان بالكنيسة المقدسة وغفران الخطايا^[42].

2. صيغة الإيمان المسياني

طال انتظار البشرية لتتقرب مجيء المسيا مخلص العالم، فجاءت المسيحية جوهر رسالتها "الشركة مع الله في المسيا المخلص". وقد رأينا اعتراف الرسول بطرس أن يسوع "هو المسيح ابن الله الحي"، وأعلن الخصي الأثيوبي ذات الإيمان قبيل عماده.

كان الإيمان بالمسيح المخلص هو مركز البشارة، حتى صارت "السمكة" هي الرمز للإيمان المسيحي في العالم الهليني وذلك لأنها في اليونانية (إخثيس) تشمل الحروف الأولى من العبارة "يسوع المسيح، ابن الله المخلص". وقد شهد العلامة ترنتليان بذلك كما شهدت نقوش Abercuís. وردت هذه العبارة الرمزية في مؤلفات الكتاب المسيحيين في نطاق واسع كقانون إيمان يعبر عن المعتقد المسيحي.

النص

قانون الإيمان للرسول^[43]

1. أو من با الله الأب، ضابط الكل (خالق السماء والأرض)؛
2. وبيسوع المسيح، ابنه الوحيد، ربنا،
3. الذي (حُبِل) به بواسطة الروح القدس، وُلد من العنراء؛
4. (تألّم) في عهد بيلاطس بنطس، صلب (ومات) ودفن؛
5. (ونزل إلى الجحيم)، وفي اليوم الثالث قام من الأموات؛
6. صعد إلى السموات، وجلس عن يمين (الله) الأب، (ضابط الكل)؛
7. ومن ثم يأتي ليدين الأحياء والأموات.
8. و(أؤمن) بالروح القدس؛
9. والكنيسة المقدسة (الجامعة) (وشركة القديسين)؛
10. وغفران الخطايا؛
11. وقيامة الجسد؛
12. (والحياة الأبدية).

قوانين الإيمان^[44] ما قبل نيقية في علاقتها بقانون الإيمان للرسل وقانون الإيمان النيقية^[45]

العلامة	نوفيتان	القديس	العلامة	القديس	قانون	
أوريجين		كبريانوس	ترتليان	ايريناؤس	الإيمان للرسل	
الاسكندر ية - ٢٣٠ م	روما - ٢٥٠ م	قرطاجنة - ٢٥٠ م	شمال أفريقيا - ٢٠٠ م	بلاد الغال - عام ١٧٠ م	(روما)	
نؤمن بإله واحد، الذي خلق وأوجد كل شيء. الذي في آخر الأيام أرسل	نؤمن بالله الآب والرب ضابط الكل	نؤمن بالله الآب،	نؤمن بإله واحد، خالق العالم، الذي أوجد الكل من عدم ...	نؤمن بإله واحد الآب ضابط الكل، خالق السماء والأرض والبحر وكل ما فيها	أؤمن بالله ضابط الكل، (خالق السماء والأرض)؛	1
ربنا يسوع المسيح. مولودًا من الآب قبل كل الخلق.	باين الله، يسوع المسيح، الله ربنا،	بابنه المسيح،	وبالكلمة، ابنه يسوع المسيح؛	وبيسوع المسيح الواحد ابن الله (ربنا)؛	وبيسوع المسيح، ابنه الوحيد، ربنا؛	2
مولودًا من العذراء والروح القدس. تجسد وهو لا يزال الله.			الذي نزل إلى العذراء مريم خلال روح الله وقوته، وصار جسدًا في أحشائها وولد منها؛	الذي صار جسدًا (من العذراء) لأجل خلاصنا؛	الذي (حبل) به بواسطة الروح القدس، ولد من العذراء مريم؛	3
تألم حقًا، ومات،			ثبت على الصليب (في عهد بيلاطس البنطي)، مات ودفن،	وآلامه (في عهد بيلاطس البنطي)؛	(تألم) في عهد بيلاطس البنطي، صلب (ومات) ودفن؛	4
قام من الأموات			قام في اليوم الثالث،	وقيامته من الأموات؛	(ونزل إلى الجحيم)، وفي اليوم الثالث قام من الأموات؛	5
ورفع ...			رفع إلى السموات وجلس عن يمين الله	وصعد إلى السموات جسدًا.	صعد إلى السموات، وجلس عن يمين (الله)	6

العلامة	نوفيتان	القديس	العلامة	القديس	قانون	
أوريجين		كبريانوس	ترتليان	ايريناؤس	الإيمان للرسول	
			الآب.		الآب (ضابط الكل)،	
			سيأتي ليدين الأحياء والأموات،	ومجيئه من السموات في مجد الآب لكي يضم كل الأشياء في رأس واحد...ويجري حكمًا عادلًا على الجميع	ثم يأتي ليدين الأحياء والأموات،	7
الروح القدس، متحدًا في كرامة وجلال مع الآب والابن.	بالروح القدس (الموعود به منذ القديم للكنيسة، وأعطي في الوقت المناسب)	بالروح القدس	وبالروح القدس، البارقليط، المقدس، مرسلًا من عند الآب بواسطة المسيح،	وبالروح القدس ...	و(أؤمن) بالروح القدس،	8
					وبالكنيسة المقدسة (الجامعة) (وشركة القديسين)،	9
		أؤمن بغفران الخطايا،			وغفران الخطايا،	10
			وأن المسيح سيستقبل قديسه بعد استعادة الجسد،	وأن المسيح سيأتي من السموات ليقيم كل جسد ... وليدين الأشرار والظالمين في نار الأبدية،	وقيامة الجسد،	11
		والحياة الأبدية خلال الكنيسة المقدسة.	في متعة الحياة الأبدية ومواعيد السماء، ويدين الأشرار	ويعطي المستقيمين والقديسين خلودًا ومجدًا أبدًا.	(والحياة الأبدية)،	12

العلامة	نوفيتان	القديس	العلامة	القديس	قانون	
أوريجين		كبريانوس	ترتليان	ايريناؤس	الإيمان للرسول	
			بنار أبدية.			

قانون	كيرلس	يوسابيوس	لونيانوس	غريغوريوس	
الإيمان النيقوي - القسطنطيني [46]	الأورشليمي				
٣٢٥ م، ٣٨١ م	أورشليم ٣٥٠ م -	قيصرية - ٣٢٥ م	انطاكية ٣٠٠ م -	قيصرية الجديدة - ٢٧٠ م	
نؤمن بإله واحد، الآب، خالق كل شيء (السماء والأرض)، ما يرى وما لا يرى،	نؤمن بإله واحد، الآب ضابط الكل، خالق السماء والأرض، ما يرى وما لا يرى.	نؤمن بإله واحد، الآب ضابط الكل، خالق كل شيء، ما يرى وما لا يرى،	نؤمن بإله واحد الآب ضابط الكل، خالق كل شيء والمعتمتي بكل شيء،	نؤمن بأنه الآب،	1
نؤمن برب واحد يسوع المسيح، ابن الله (الوحيد)، المولود من الآب (قبل كل الدهور)، نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، واحد في الجوهر مع الآب، به كان كل شيء،	وبرب واحد يسوع المسيح، ابن الله الوحيد، مولود من الآب قبل كل الدهور، إله حق، به كان كل شيء.	وبرب واحد يسوع المسيح، كلمة الله، إله من إله، نور من نور، حياة من حياة، الابن الوحيد، بكر كل الخليقة، مولود من الآب قبل كل الدهور، به كان كل شيء.	وبرب واحد يسوع المسيح ابنه، المولود من الآب قبل كل الدهور، إله من إله، الحكمة، الحياة، النور.	برب واحد. إله من إله، صورة وشكل اللاهوت. الحكمة والقدرة التي أوجدت كل الخليقة، الابن الحقيقي للآب الحقيقي.	2
هذا الذي من أجلنا نحن البشر، ومن أجل خلاصنا، نزل (من السماء) وتجسد (من الروح القدس ومن مريم العذراء)	تجسد وتأنس،	الذي من أجل خلاصنا صار جسدًا بين البشر،	الذي ولد من عذراء حسب الكتب، وتأنس،		3

قانون الإيمان النيقوي - القسطنطيني [46]	كيرلس الأورشليمي	يوسابيوس	لونيانوس	غريغوريوس	
وتأس،					
(صلب) عنا على عهد بيلاطس البنطي، وتآلم (ودفن)،	صلب ودفن،	وتآلم،	الذي تآلم من أجلنا،		4
وفي اليوم الثالث قام من الأموات كما في الكتب،	قام في اليوم الثالث،	وقام في اليوم الثالث،	وقام من أجلنا في اليوم الثالث.		5
وصعد إلى السموات (وجلس عن يمين الآب)،	وصعد إلى السموات، وجلس عن يمين الآب.	وصعد إلى الآب،	وصعد إلى السموات، وجلس عن يمين الله الآب،		6
هذا الذي يأتي (في المجد) يدين الأحياء والأموات، (الذي ليس لملكه انقضاء).	سيأتي في مجد، ليدين الأحياء والأموات، ليس لملكه انقضاء.	وسيأتي بمجد ليدين الأحياء والأموات.	وسيأتي أيضًا بمجد وقوة ليدين الأحياء والأموات		7
نؤمن بالروح القدس (الرب المحيي)، المنبثق من الآب، نسجد له ونمجده مع الآب والابن، الناطق في الأنبياء.	وبروح قدس واحد، البارقليط الناطق في الأنبياء.	نؤمن أيضًا بالروح القدس.	وبالروح القدس المعطى للتعزية والتقدیس والكمال للذين يؤمنون.	بروح قدس واحد، خادم التقديس، فيه يعلن الله الآب، الذي فوق كل الأشياء، ويعلن الله الابن الذي هو خلال كل الأشياء. ثالث كامل، غير منقسم ولا مختلف في المجد، والأبدية، والسلطان.	8
وبكنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية	وبمعمودية واحدة للتوبة لمغفرة الخطايا.				9

قانون الإيمان النيقوي - القسطنطيني [46]	كيرلس الأورشليمي	يوسابيوس	لونيانوس	غريغوريوس	
ونعترف بعمودية واحدة لمغفرة الخطايا.	وبكنيسة مقدسة واحدة جامعة،				10
وننتظر قيامه الأموات	وبقيامه الجسد،				11
وحياة الدهر الآتي.	وبالحياة الأبدية.				12

الديداكية أو الذياخي

أو

تعليم الرب للأمم بواسطة الاثنى عشر رسولاً^[47]

جاءت كلمة "ديداكية" أو "الذياخي" Didache عن الحروف اليونانية الأولى لعنوان عمل يسمى "تعليم الرب للأمم بواسطة الاثنى عشر رسولاً". يُعتبر أهم وثيقة بعد كتابات الرسل، تكشف لنا عن الحياة الكنسية الأولى من كل الجوانب: السلوكي والليتورجي والتنظيمي. كما يقول Quasten: [بين أدينا ملخص لتوجيهات تعطينا صورة رائعة للحياة المسيحية في القرن الثاني. في الحقيقة نجد هنا أقدم نظام كنسي، نموذجاً قيماً لكل التجمعات القديمة الخاصة بالنظم والقوانين الرسولية؛ هذا النموذج هو بداية القانون الكنسي شرقاً وغرباً^[48]].

ويرى^[49] F. L. Cross أن هذا الدليل السلوكي التعليمي والنظام الكنسي هو أهم اكتشاف في حقل أدب الآباء في المائة سنة الأخيرة.

وقد خدمت الديداكية الكثير من الأعمال الليتورجية والكتابات الخاصة بالقوانين الرسولية الدسقولية السريانية

Didascalia والتقليد الرسولي لهيبوليتس Apostolic Tradition والقوانين الرسولية Apostolic Constitutions.

كان لها أهمية خاصة في العصور الأولى حتى حاول البعض ضمها إلى أسفار العهد الجديد، فانبرى الكتاب الأولون يوضحون عدم قانونيتها، مثل البابا أناسيوس السكندري^[50] والمؤرخان يوسابيوس^[51] وروفيوس^[52].

وقد استخدم إكليمنضس السكندري^[53] وإبريناؤس عبارتين يُشتم منهما معرفتهما بالديداكية، وأيضاً واضع كتاب^[54] De Alatoribus المنسوب لكبريانوس.

على أي الأحوال لم يتعرف الدارسون الغربيون على الديداكية حتى اكتشافها الميتروبوليت فيلوثيوس برينبيوس Philotheos Brynnius مطران نيقوميديا^[55] عام ١٨٧٥م ضمن المخطوط القسطنطيني لعام ١٠٥٦م (حالياً في أورشليم)، وقام بنشرها عام ١٨٨٣م، فأثار ذلك ضجة في الأوساط العلمية، خاصة في ألمانيا وإنجلترا وأمريكا^[56] لم يحدث مثلها في أي اكتشاف أدبي سابق.

محتوياتها

ليست الديداكية عملاً واحداً قام أحد الكتاب بتأليفه، إنما هو تجميع حاول جامعته أن يربط أجزاءه معاً فلم يستطع، فقدم لنا ثلاثة أعمال مع خاتمة، أو قل ثلاثة أقسام بخلاف الفصل الختامي:

القسم الأول: يمثل الحياة العملية السلوكية فصل ١ - ٦.

القسم الثاني: الحياة الليتورجية والسرائرية فصل ٧-١٠، ١٤.

القسم الثالث: الترتيبات الكنسية فصل ١١-١٥.

الخاتمة: عن برؤسياً الرب أو مجيئه الأخير فصل ١٦.

القسم الأول: الحياة العملية السلوكية

كنا نتوقع من العنوان "تعليم الرب للأمم بواسطة الاثنى عشر رسولاً" أن نتحدث الديداكية عن العقيدة المسيحية والمفاهيم اللاهوتية. لكن إذ يخبرنا القديس أناسيوس الرسولي إنها كانت تستخدم في تعليم الموعوظين قبل عمادهم، كان غايتها

تذكير طالبي العماد - بعدما قبلوا الإيمان - أن يعلنوا إيمانهم بأعمالهم، كأنها تضع لهم دستور الحياة الجديدة التي في المسيح يسوع: حقاً ان المسيحية ليست مجموعة أخلاقيات، لكنها إيمان عملي مُعاش، شهادة حياة لعمل المسيح في حياة المؤمن عملياً. استخدمت الديداكئة نظام "الطريقتين Two ways" يختار الإنسان طريق الحياة أو الموت. هذا الأسلوب استخدمه اليونان في الجامع الهيلينية، واستعارته الكنيسة ليتناسب مع طالبي الإيمان الذين من أصل هيليني، لكن بروح مسيحية، مستقاة من "الموعظة على الجبل"، وقد استخدمه اليهود أيضاً^[57].

القسم الثاني: الحياة الليتورجية

كشفت لنا الديداكئة عن بعض الطقوس والمفاهيم الكنسية للعبادة المسيحية:

المعمودية: تتحدث عن العماد بالتغطيس في ماء جارٍ، أي في الأنهار. كانت هذه العادة قائمة في عصر الرسل وما بعدهم مباشرة. وإذا لم يوجد ماء جارٍ يتم العماد بالتغطيس في ماءٍ آخر، وعند الضرورة يمكن سكب الماء على المعمد ثلاث دفعات باسم الثالوث القُدوس.

ومن الاستعدادات اللازمة للسرّ أن يصوم طالب العماد وخدام السرّ ومن الغير ما استطاع - يومين أو يوماً قبل العماد. ولا تزال هذه العادة سارية في الكنيسة القبطية، إذ يصوم خادم السرّ والإشبين والمعمد اليوم الذي يتم فيه العماد. **الصوم والصلاة:** لكي لا نشترك مع اليهود في أصوامهم - يومي الاثنين والخميس - نصوم يومي الأربعاء والجمعة، على أنه يليق بنا ألا نصوم أو نصلي برباء. تأمر الديداكئة المؤمنين أن يصلوا الصلاة الربانية ثلاث مرّات يومياً.

الإفخارستيا: سبق معالجة هذا الموضوع بشيء من التوسع في كتاب "المسيح في سرّ الإفخارستيا^[58]". ووصلنا إلى أن الفصلين 9-10 يصوران ليتورجياً الإفخارستيا للمعمدين حديثاً، والفصل 15 يتحدث عن خدمة الإفخارستيا العادية التي تقام يوم الأحد^[59].

الاعتراف: يمارس قبل الاجتماع في الكنيسة (الفصلان 14، 15)، كما يلتزم به قبل التمتع بشركة الأسرار المقدسة (الإفخارستيا).

الكنسيات: الكنيسة في مفهوم واضح الديداكئة "جامعة"، تضم العالم كله، من كل شعب وجنس، ليس فقط الذين آمنوا بل والذين يؤمنون يوماً ما... وهو يطلب الصلاة لكي يجمعها الرب من الرياح الأربع. أما من جهة الرئاسة الكهنوتية فلا يشتم منها افتراض أسقفية واحدة رئاسية في العالم. كما ركز على وحدة الكنيسة وقدسيتها، رابطاً بين وحدتها ووحدة الخبز الإفخارستي.

القسم الثالث: الترتيبات والتنظيم الكنسي

تحدث بشيء من الإطالة عن الإدارة الكنسية: الرسل والأنبياء والمعلمون والأساقفة والشمامسة.

أثار هذا القسم مع القسم السابق الكثير من الجدل بين الدارسين:

يرى Connolly, Vokes أن ما ورد بالديداكئة من ترتيبات كنسية هي من أصل ماني، إذ يعتمد على وجود أنبياء. غير أن هذا الرأي يصعب قبوله إذ لم يرد في الديداكئة شيء عن ماني وأتباعه، ولا حملت العنف النسكي الذي تميّزت به هذه البدعة، ولا عارضت الزواج الثاني والتوبة الثانية.

يرى Armitage Robinson أن الديداكئة هي تجميع عن صورة الكنيسة الأولى مقتبس عن مصادر رسولية. وهذا الرأي أيضاً عليه اعتراضات منها أنه لو كان هدف الجامع هكذا لما غفل الحديث عن الأسقفية والبتولية وظهور الاتجاه الغنوسي أو ما يضاده.

الرأي الراجح نادى به Streeter, Creed, Klauser, Kleist أن الكاتب مجرد جامع، عكس الترتيبات الكنسية والتعاليم الليتورجية في الفترة التالية لعصر الرسل. ربّما قام بهذا العمل كاتب بالإسكندرية حيث جمع بين مخطوطين قديمين

وصلا بين يديه، أحدهما عن "الطريقين" مصري الفكر والآخر مجموعة من أحكام الحياة الكنسية في نهاية القرن الأول، وقد غيرَ فيهما، ثم وضع الخاتمة (فصل ١٦) من عنده، وهي لا تمت بصلة مع بقية الديداكية.

الخاتمة: برُوسياً الرب

حملت الديداكية ككل الاتجاه الإسخاتولوجي (الأخروي) بصورة واضحة، كغيرها من الكتابات التالية لعصر الرسل. إذ كان الكل يتوقع سرعة مجيء الرب الأخير. تظهر هذه السمة في الصلوات الإفخارستية الواردة بالديداكية، كما خصص الفصل الأخير الختامي بأكمله عن برُوسياً الرب مع إشارة إلى علامات المنتهى، والتزامنا قبالتة.

كاتب الرسالة وتاريخ كتابتها

رفض الدارسون ما افترضه Deuchesne أن العنوان يوحي بأن كاتبها أحد الرسل. فإن العنوان في جوهره لا يشير إلى ذلك، إنما يقصد واضع الديداكية أن يقدم بصورة واضحة مختصراً لتعليم السيد المسيح للأمم كما علمها الرسل. وإلى اليوم لم يستطع الدارسون التعرف على كاتبها، بل اختلفوا في تاريخ كتابتها. فمال الدارسون الإنجليز والأمريكان إلى تحديد كتابتها ما بين عامي ٨٠، ١٢٠م، وظن Hilgenfeld أنها كتبت ما بين عامي ١٦٠، ١٩٠م، بينما حدّد Brynnius, Harnack تاريخها ما بين عامي ١٢٠، ١٦٠م. على أي الأحوال رفض الدارسون ما مال إليه القدامى من نسبتها ما بين عامي ٧٠، ٩٠م، ومال الأغلبية إلى نسبتها بالشكل الحالي إلى المنتصف الأول من القرن الثاني أو بعد ذلك بقليل^[60] دون أن ينكروا وجود بعض فقرات ترجع إلى سنة ٥٠-٧٠م.

لا يمكن أن ترجع إلى عصر الرسل للأسباب التالية:

1. لا تحمل أي تلميح عن اليهودية - المشكلة الرئيسية في عصر الرسل. وإن كانت الفصول الستة الأولى يهودية في طبيعتها، لكنها تحمل فكراً إنجيلياً تقوم على تعليم السيد المسيح^[61].
 2. تجميع مثل هذه القوانين الرسولية تعني شيئاً من الاستقرار الكنسي، أي بعد كرازة الرسل.
 3. خلال التفاصيل الواردة بالديداكية يظهر أن عصر الرسل انتهى.
 4. اعتمد كثيراً على إنجيل متى فلا يكون قد جمعها قبل عام ٩٠م.
- غير أن الديداكية تحمل شهادة داخلية أنها جمعت في عصر مقارب جداً للرسل، نذكر منها:
- أ. التعميد في ماء جارٍ، وذلك في عهد الرسل والقرن الثاني، كما أن الليتورجيا الواردة في الفصول ٧-١٠ تشير إلى بساطة العبادة التي كانت في القرن الثاني.
 - ب. بساطة اللغة الزائدة، التي اتّسمت بها كتابات ما بعد الرسل مباشرة. كما أن لغتها تكشف عن التحول ما بين كتابات العهد الجديد والكتابات الكنسية.
 - ج. لا نجد بها آثاراً لنص قانون إيمان أو تقنين للعهد الجديد، ولا يزال الأنبياء يقدّسون الإفخارستيا، الأمور التي تكشف أنها قبل نهاية القرن الثاني.
 - د. جاء وضعها في المخطوط ما بين الرسائل الإكلمنية ورسائل أغناطيوس، ربّما أراد الناسخ أن يشير إلى تاريخها ما بين إكليمنضس الروماني وقبل أغناطيوس، خاصة وأن النظام الكنسي الوارد بها يكشف أنه سابق لما ورد في رسائل أغناطيوس.
- يرى البعض أن الكاتب يهودي متصر، إذ يتحدّث عن بكور المحصولات وعن الأصوام اليهودية في يومي الاثنين والخميس، كما يحض على تلاوة الصلاة ثلاث مرّات يومياً، وأنه يعرف العهد القديم.

مكان الكتابة

رأى البعض أنّها سوربة الأصل، وذلك بسبب علاقتها بالقوانين الرسولية Apostolic Constitutions السريانية الأصل. ونسبها البعض لفلسطين بسبب غياب تعاليم الرسول بولس. ونسبها آخرون إلى بلاد اليونان وآسيا الصغرى. إلا أن كثيرين^[62] رأوا أنّها مصرية وذلك للأسباب:

1. تشابهها مع رسالة برناباس (١٠٠-١٣٠)، التي استخدمت أسلوب "الطريقين" في الرسالة (فصول ١٨-٣٠).
2. وورد أسلوب "الطريقين" في كتابات مصرية أخرى مثل "النظام الكنسي الرسولي Apostolic Church Order" الذي عرف بالنظام الكنسي المصري^[63] كما وردت في سيرة الأنبا شنودة (القرن الخامس).
3. من المحتمل، وليس من المؤكد، أن إكليمنضس الإسكندري عرف الديداكية^[64].
4. أخذ الأسقف المصري سيرابيون (القرن الرابع) مقتطفات منها في صلواته الإفخارستية.
5. كلمات التمجيد الواردة في الصلاة الربانية وفي صلاة الإفخارستيا تقتصر على الكلمتين "القوة" و"المجد" دون كلمة "الملك". وهذا التمجيد كان شائعاً في مصر أكثر من سواها.

الديداكية والكتابات الآبائية الأولى

رأينا ارتباط الديداكية برسالة برناباس في تعليم "الطريقين"، وقد جاءت الآراء المتضاربة: هل أخذت الديداكية عن برنابا أم العكس؟ غير أن الرأي السائد أن الاتنين أخذوا هذا التعليم من مصدر مستقل شكّله المسيحيون بما يليق بالفكر المسيحي، كل واحد حسبما يرى^[65].

حاول البعض ربط الديداكية بكتاب "الراعي" لهرماس، دون أن يصلوا إلى نتيجة محدّدة، غير أن بعض العبارات جاءت متشابهة في النصين، لكن لا يوجد إلا عبارتين جاءتا حرفيتين.

حملت القوانين الرسولية Apostolic Constitutions (٧: ١-٣٢) أكثر من نصف ما ورد في الديداكية. غالباً بذات الترتيب مع تشابه قوي في العبارات. أمّا العبارات التي لم ترد فعلى أغلب الأحوال كانت قد فقدت ارتباطها بالقرن الرابع^[66].

النصوص التقليدية^[67]

1. جاء النص باليونانية كاملاً في المخطوط الذي اكتشفه Brynnuis كما وردت أجزاء منه باليونانية في:
أ. حُفظ شيء من الفصلين الأول والثاني على جزء من بردية وُجدت في البهنسا Oxyrhnehos بمصر، وهي تعود إلى القرن الرابع^[68].

ب. جاءت الفصول الستة الأولى ضمن رسالة برناباس.

ج. شمل الكتاب الثامن من القوانين الرسولية Apos. Cons. السوري في القرن الرابع أغلب النص اليوناني للديداكية.

2. النصان اللاتينيان، أحدهما في مخطوط Melk من القرن التاسع/العاشر، يحوي أجزاء منها، ومخطوط ميونخ (Cod. Monac. Lat. 6264) من القرن الحادي عشر.

3. وُجد نص قبطي لبعض أجزاء منها. ترجمة القرن الخامس، على بردية بالمتحف البريطاني (٩٢٧)، ورد بالمخطوط صلوات على زيت المسحة، غالباً ما كان يستخدم في سرّي العماد والمسحة (الميرون).

4. توجد مخطوطات بها مقتطفات لترجمات سريانية وعربية وأثيوبية وجورجية^[69].

نص الديداكية

١ - الطريقان "الدستور الأخلاقي"^[70]

تعليم الرب للأمم بواسطة الإثني عشر رسولاً^[171].

(1)

1. يوجد طريقان: أحدهما للحياة والآخر للموت^[172]، لكن الفرق بين الطريقين عظيم.
2. طريق الحياة هو هكذا: أولاً، أحبب الله الذي خلقك (تث ٦ : ٥). ثانياً، حب قريبك كنفسك (لا ١٩ : ١٨؛ مت ٢٢ : ٣٧، ٣٩). ما لا تريد أن يفعله الناس بك لا تفعله أنت بالآخرين (طو ٤ : ١٥؛ مت ٧ : ١٢؛ لو ٦ : ٣١).
3. إليك ما تحمله هذه الأقوال من تعليم: باركوا لاعنيكم، صلوا من أجل أعدائكم، وصوموا من أجل مضطهديكم^[173]. لأنه أي فضل لكم إن أحببتهم الذين يحبونكم؟ أليس الوثنيون يفعلون ذلك؟! أما أنتم فأحبوا مبغضيكم، فلا يكون لكم عدو (مت ٥ : ٤٥ – ٤٧؛ لو ٦ : ٢٧–٣١).
4. ابتعدوا عن الشهوات الجسدية (١ بط ٢ : ١١) الزمنية (عالمية).
"من لطمك على خدك الأيمن فحوّل له الآخر أيضاً" (مت ٥ : ٣٩؛ لو ٦ : ٢٩)، وكن كاملاً (مت ٥ : ٤٨). من سخرك ميلاً فامش معه اثنين (مت ٥ : ٤١). من أخذ ثوبك فأعطه رداًك أيضاً (مت ٥ : ٤٠؛ لو ٦ : ٢٩). من أخذ مالك فلا تطالبه به، لأنك لا تستطيع^[174].
5. كل من سألك فأعطه بغير مقابل (لو ٦ : ٣٠). فإن الأب يريد أن يشترك الكل في نعمنا. طوبى للذي يعطي حسب الوصية، إذ هو بلا لوم. ويل لمن يأخذ بغير احتياج. إن أخذ أحد عن عوز يُحسب بلا لوم. أما إن أخذ عن غير عوزٍ فسيُعطي حساباً عن السبب والهدف اللذين من أجلهما أخذ. إنه يُلقى في السجن، ويُسأل عن مسلكه، ولا يخرج من هناك حتى يوفي الفلس الأخير (مت ٥ : ٢٦).
6. لكن قيل أيضاً في هذا الصدد: لببئلك إحسانك بعرق يديك^[175]، حتى تعرف لمن تعطي.

(٢)

1. الوصية الثانية للتعليم:
2. لا تقتل، لا تزن، لا تفسد صبيان، لا تبغ، لا تسرق (خر ٣٠ : ١٣–١٥؛ تث ٥ : ١٧–١٩؛ مت ١٩ : ٨)، لا تمارس السحر ولا تذهب لعرافة، لا تقتل طفلاً بالإجهاض، ولا تقتل طفلاً حديث الميلاد. لا تشته مال قريبك (خر ٢٠ : ١٧).
3. لا تحلف (مت ٥ : ٣٤)، ولا تشهد بالزور (مت ١٩ : ١٨؛ خر ٢٠ : ١٦). لا تتطق بكلمة افتراء، ولا تحمل حقداً.
4. لا تكن منقلب الرأي ولا منافقاً، فإن النفاق شرك الموت^[176].
5. لا يكن كلامك كاذباً، ولا تنطقه باطلاً، بل دعمه بالعمل.
6. لا تكن جشعاً ولا طماعاً ولا مرئياً. لا تكن شريراً ولا منكبراً. لا تفكر سوءاً بقريبك.
7. لا تبغض أحداً، لكن انذر البعض وصل لأجل البعض، أحبب الآخرين أكثر من نفسك.

(٣)

1. يا بني، اهرب من كل شر، ومن كل ما على شاكلته.
2. لا تمل إلى الغضب، فإن الغضب يقود إلى القتل. ولا تكن حسوداً ولا مخاصماً ولا حاد الطبع. فإن هذه كلها تلد الجرائم.
3. يا بني لا تكن شهوانياً، فإن الاشتهاء يقود إلى الزنا. ولا تكن ناطقاً بكلامٍ بذيء، ولا عينك شريرة، فإن هذا كله يلد زنا.
4. يا بني لا تتفاعل، فإن هذا يقود إلى عبادة الأصنام. احترس من الرقي، ومن حسابات المنجمين، ومن المشعوذات التطهيرية. ارفض حتى رؤية هذه الممارسات، فإن هذه كلها تلد عبادة أصنام.
5. يا بني لا تكن كاذباً، فالكذب يقود إلى السرقة. لا تكن محباً للمال أو المجد الباطل، فإن هذا كله يلد السرقات. يا بني لا تتذمر، فإن هذا يقود إلى التجديف. لا تكن وقحاً ولا سيء النية، فإن هذه تلد التجديف.
6. لكن كن وديعاً، فإن الودعاء يرثون الأرض (مز ٣٧ : ١١؛ مت ٥ : ٥).
7. كن طويل الأناة، رحيماً، بلا مكر، هادئاً، صالحاً، ترهب التعليم الذي تتلقاه (إش ٦٦ : ٢، ٥).

8. لا تتفاخر (لو ١٨ : ١٤)، ولا تستلم للزهو، لا تلتصق نفسك بالمتكبرين بل عاشر الصديقين والمتواضعين.
9. تقبل الأحداث التي تحل بك كأنها خير، عالمًا أنه ليس شيء يحدث بدون إذن الله (مت ١ : ٣٩).
- (٤)
1. يا ابني تذكر ليلاً ونهاراً ذلك الذي يحدثك بكلام الله (عب ١٣ : ٧). أكرمه كما تكرم الرب (مت ١٠ : ٤٠)، لأنه حيث يركز بالتعليم الرباني يكون الرب موجوداً.
2. اسع يوماً فيوماً نحو القديسين لتجد في كلامهم تعزية.
3. لا تثر انقسامات، بل وطد السلام بين المتخاصمين. احكم بالعدل، لا تنظر الوجوه في انتهاك المعاصي (تث ١ : ١٦، ١٧؛ أم ٣١ : ٩).
4. لا تتردد في قرارك بين هذا وذاك.
5. لا تبسط يديك للأخذ وتطبقهما عند العطاء (سيراخ ٤ : ٣١).
6. إن كنت تملك شيئاً من تعب يديك، فقدم عتقاً عن خطاياك (بالعطاء).
7. لا تتردد في العطاء، وإذا أعطيت فلا تتذمر، فستعرف من هو المجازي خيراً.
8. لا تصرف محتاجاً. اقتسم كل شيء مع أخيك (أع ٤ : ٣٨). ولا تقل أن لك مالاً خاصاً بك. فإن كنتم تقتسمون الخيرات الخالدة كم بالحري الفانيات؟ (رو ١٥ : ٢٧)
9. لا ترفع يدك عن ابنك أو ابنتك، بل علمهما مخافة الرب منذ نعومة أظافرهما.
10. لا تنتهر (بمرارة) عبدك أو أمتك اللذين يترجان الله إلهك. لئلا يفقدا مخافة الرب، الذي هو فوق الكل (أف ٦ : ٩)، وليس عنده محاباة الوجوه، بل يدعو من هيأهم الروح.
11. وأنتم أيها العبيد أطيعوا سادتكم في تواضع ومخافة كما للرب (أف ٦ : ٥؛ كو ٣ : ٢٢)
12. ابغضوا كل رياء وكل ما لا يرضي الرب.
13. لا تترك وصايا الرب، بل احفظها كما تسلمتها بغير زيادة أو نقص (تث ١٣ : ٣١).
14. اعترف بمعاصيك في الجماعة، ولا تقترب الصلاة بضمير شرير. هذا هو طريق الحياة.
- (٥)
1. أما طريق الموت فهكذا: أولاً، إنه شرير، مملوء لعنة: قتل، زنا، شهوات، فجور، سرقة، عبادة أصنام، أعمال سحر، عرافة، اغتصاب، شهادة زور، رياء، نفاق، خداع، كبرياء، إساءة، قحة، طمع، كلام باطل، حسد، عجرفة، ترف، افتخار.
2. مضطهدو الخير، مبغضو الحق، محبو الكذب، لا يعرفون مكافأة البر، غير ملتصقين بالصلاح (رو ١٢ : ٩) ولا بالحكم العادل، يسهرون لا على صنع الخير بل فعل الشر، بعيدون عن الوداعة والصبر، محبون للأباطيل، مطاردون المكافأة، لا يرحمون الفقير، ولا يعملون من أجل الحزين، لا يعرفون خالقهم، قاتلو أطفال، ومفسدو خليقة الله، يتحولون عن المحتاج، ويظلمون الحزاني، يدافعون عن الغني ويحكمون بالظلم على الفقير، إنهم خطاة تماماً. أيها الأبناء، تحرروا من هذه كلها.
- (6)
1. احذر أن يضللك أحد عن هذا الطريق للتعليم، إنه يعلمك خارجاً عن الله.
2. إذا استطعت أن تحمل كل نير الرب تصبح كاملاً (مت ١١ : 29-30؛ ١٩ : ٢١). أما إذا لم تستطع فافعل قدر طاقتك.
3. أما عن الطعام، فاحتمل قدر استطاعتك، وامتنع عما قدم للأوثان تماماً، فإنها عبادة لآلهة ميتة (١ كو ١٠ : ٢٥-٢٨)

٢ - الحياة الليتورجية والسرائرية

(٧)

العماد

1. أما عن العماد، فعمدوا هكذا: بعدما تعلمون كل ما تقدم، عمدوا باسم الآب والابن والروح القدس (مت ٢٨: ١٩) بماء جار (حي).
2. فإذا لم يكن هناك ماء جار فعمد بماء آخر. إذا لم تستطع أن تعمد بماء بارد فعمد بماء دافئ.
3. إذا كنت لا تملك كليهما فاسكب الماء^[177] فوق الرأس ثلاثاً، باسم الآب والابن والروح القدس.
4. قبل العماد، فليصم المعمد والمعمد ومن من الغير يستطيع. أوصي من يريد أن يعتمد أن يصوم يوماً يو يومين قبل العماد.

(٨)

الصوم والصلاة

1. لا تصوموا مع المرثيين (مت ٦: ١٦)، فإنهم يصومون اليوم الثاني واليوم الخامس من الأسبوع، أما أنتم فصوموا الرابع (الأربعاء) والاستعداد (الجمعة)^[178].
2. لا تصلوا كالمرثيين (مت ٦: ٥)، بل كما أمر الرب في إنجيله، صلوا هكذا: "أبانا الذي في السموات، ليتقدس اسمك، ليأت ملكوتك، لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض، خبزنا الضروري أعطنا اليوم، واترك لنا ما علينا كما نترك نحن لمن لنا عليهم، ولا تدخلنا في تجربة، لكن نجنا من الشرير. لأن لك القوة والمجد إلى الأبد" (مت ٦: ٥، ٩-١٣).
3. صلوا هكذا ثلاث مرات في اليوم (دا ٦: ١٠).

(٩)

الإفخارستيا

1. بخصوص الإفخارستيا، يقدم الشكر هكذا:
2. أولاً: بخصوص الكأس: نشكرك (يوخارستيت)، يا أبانا. من أجل الكرامة المقدسة التي لداود خادمك، لقد أعلنتها لنا بيسوع ابنك (خادمك)^[179]. المجد لك أبد الدهور.
3. ثم بخصوص الخبز (كلازما)^[180] المكسور. نشكرك يا أبانا، من أجل الحياة والمعرفة، اللتين أعلنتهما لنا بيسوع ابنك، المجد لك أبد الدهور.
4. كما أن هذا الخبز المكسور، كان مرة مبعثراً على التلال، وقد جُمع ليصير (خبزاً) واحداً، كذلك اجمع كنيستك، من أقاصي الأرض، في ملكوتك! لك المجد والسلطان بيسوع المسيح أبد الدهور.
5. لا يأكل أحد أو يشرب من إفخارستيك (ذبيحة شركك)، إلا الذين عمدوا باسم الرب. ففي هذا يقول الرب: "لا تعطوا القدس للكلاب" (مت ٧: ٦).

(١٠)

1. بعدما تشبعون^[181]، اشكروا هكذا: نشكرك أيها الآب القدوس، من أجل اسمك القدوس، الذي أسكنته في قلوبنا، ومن أجل ما أعلنته لنا، من معرفة وإيمان وخلود. بيسوع ابنك، المجد لك أبد الدهور.
2. أنت، أيها السيد القدير، خلقت الكون للإشادة بذكر اسمك، وأعطيت البشر الغذاء والشراب والتلذذ حتى يشكروه. ولكنك كافأتنا نحن بغذاء وشراب روحيين، وبالحياة الأبدية، بيسوع ابنك.
3. نشكرك فوق كل شيء، لأنك قدير، المجد لك أبد الدهور. آمين.
4. أذكر يا رب كنيستك، خلصها من كل شر واجعلها كاملة في حبك، اجمعها من الرياح الأربع، هذه الكنيسة التي تقدسها في ملكوتك الذي أعدته لها. لك السلطان والمجد أبد الدهور. آمين.
5. تعال أيها الرب^[182]. وليعبر هذا العالم. آمين. أوصنا لإله داود! من كان مقدساً فليقترب، ومن لم يكن هكذا فليتب! ماران آتاً^[183]. آمين.
6. اتركوا الأنبياء يشكرون كما يريدون^[184].

7. (بخصوص العطور، أشكروا هكذا: أيها الأب، نشكرك على العطر الذي عرفناه به بواسطة يسوع ابنك، لك المجد إلى الأبد. أمين. [85]).

٣ - الترتيبات والتنظيمات الكنسية

(١١)

المعلمون والرسل والأنبياء [86]

1. من جاء وعلمكم بكل ما سبق اقبلوه.
2. أما إذا عاد المعلم يعلمكم تعليماً مغايراً بقصد الهدم فلا تسمعوا له (٢ يو ١٠)، أما إذا (علم) هكذا: أن يزيد البرّ وتزيد معرفة الرب، فاقبلوه كما للرب.
3. أما عن الرسل والأنبياء، فتصرفوا بحسب تعليم الإنجيل، هكذا:
4. اقبلوا كل رسول يأتيكم كالرب (مت ١٠ : ٤٠).
5. غير أنه يجب إلاّ يمكث أكثر من يوم، وعند الضرورة يبقى يوماً آخر، إذا بقي ثلاثة أيام فهو نبي كاذب.
6. عند انصرافه لا يقبل إلاّ ما يكفيه من خبز إلى أن يجد له مأوى، أما إن طلب مالا فهو نبي كاذب.
7. لا تجربوا ولا تنتقدوا نبياً يتكلم بالروح، لأن كل خطية تغفر إلاّ هذه الخطية [87].
8. لكن ليس كل من يتكلم بالروح نبياً، بل الذي يسلك طرق الرب. من سلوكهم يُعرف النبي الكاذب من النبي الحقيقي.
9. كل نبي يأمر بإقامة مائدة في الروح [88]، إن لم يأكل منها فهو نبي كاذب.
10. كل نبي يتكلم بالحق، فإن لم يمارس ما يعلم به فهو نبي كاذب.
11. كل نبي مجرب بحق، يعمل سرّ الكنيسة في العالم. ومع ذلك لا يعلم الآخرين أن يفعلوا ما يصنعه هو. لا يدان منكم بل دينونته من الله. فإنه هكذا تصرف الأنبياء القدماء.
12. لكن من يقول بالروح: اعطني مالا أو شيئاً آخر، فلا تسمعوا له. أما إذا طلب من أجل الآخرين المحتاجين فلا تدينوه.

(١٢)

1. كل من يأتيكم باسم الرب اقبلوه (مت ٢١ : ٩؛ مز ١١٧ : ٢٦)، بعد ذلك اختبروه واعرفوه، لتمييزوا اليمين من اليسار.
2. فإن مرّ بكم عابر سبيل أعينوه قدر استطاعتكم، ولا يبقى عندكم أكثر من يومين أو ثلاثة عند الضرورة.
3. إذا أراد أن يمكث عندكم كصاحب مهنة فليعمل ليأكل (٢ تس ٣ : ١٠).
4. أما إذا لم يكن صاحب حرفة، فوجهوه أنتم لكيلا يعيش بينكم عاطلاً.
5. إذا رفض أن يعمل فهو يتاجر بالمسيح (١ تي ٦ : ٥)، احترزوا من أمثاله.

(١٣)

1. كل نبي حقيقي يريد البقاء معكم "يستحق طعامه" (مت ١٠ : ١٠؛ ١ كو ٩ : ٧ - ١٤؛ ١ تي ٥ : ١٨).
2. كذلك المعلم الحقيقي يستحق كالعامل طعامه.
3. خذ باكورة نتاج معصرتك وبيدرك ومواليد أبقارك وأغنامك وقدمها للأنبياء، لأنهم رؤساء كهنتك.
4. إن لم يكن لكم نبياً، فأعطه للفقراء.
5. إن خبزت، فقدم باكورته حسب الوصية.
6. إذا فتحت وعاء خمرك أو زيتك، أعط باكورته للأنبياء.
7. كذلك مالك (فضتك) وثيابك وكل ممتلكاتك، خذ الباكورة - كما تحسن في عينيك - وقدمها حسب الوصية.

(١٤)

1. في يوم الرب اجتمعوا معاً لتكسروا الخبز وتشكروا، لكن أولاً اعترفوا بخطاياكم لكي تكون ذبيحتكم طاهرة.
2. على أي الأحوال، من كان على خلاف مع أخيه فلا يشترك في اجتماعكم قبل أن يتصالح، فلا تكون ذبيحتكم مدنسة.

3. لأن هذا ما قاله الرب: "في كل مكان وزمان، تقرب لأسمى تقدمة طاهرة، لأني ملك عظيم، يقول الرب، واسمي مهوب بين الأمم" (مل ١: ١١، ١٤).
(١٥)

1. أقيموا لكم أساقفة وشماسة جديرين بالرب، رجالاً ودعاء، غير محبين للمال، مستقيمين ومجربين، فإنهم يقومون عندكم بخدمة الأنبياء والمعلمين.
2. لا تحتقروهم لأنهم الرجال المكرمون بينكم مع الأنبياء والمعلمين.
3. وبخوا بعضهم بعضاً، لا بحدة، بل بسلام كقول الإنجيل (مت ٥: ٣٢ - ٣٦؛ ١٨: ١٥)، إذا أهان أحد قريبه فلا يكلمه أحد ولا يسمع منكم كلمة حتى يتوب.
4. أقيموا صلواتكم وقدموا صدقاتكم وافعلوا كل شيء حسب إنجيل ربنا.

٤ - بروسيا الرب

(١٦)

1. اسهروا على حياتكم، ولا تدعوا مصابيحكم تنطفئ، ولا أحقاءكم تتحل، بل كونوا مستعدين دائماً لأنكم لا تعرفون الساعة التي يأتي فيها ربنا (لو ١٢: ٣٥؛ مت ٢٤: ٤٢).
2. يليق بكم أن تجتمعوا دائماً وتطلبوا ما يخص نفوسكم، لأنه لا ينفعكم طيلة زمان إيمانكم إن لم تكونوا كاملين في اللحظة الأخيرة.
3. ففي الأيام الأخيرة يكثر الأنبياء الكذبة والمفسدين، وتتحول النعاج إلى ذئاب (مت ٧: ١٥)، والمحبة إلى كراهية (مت ٢٤: ١٢).
4. إذ يزداد الإثم يكره الناس بعضهم بعضاً، ويضطهدون بعضهم بعضاً، ويطردون بعضهم بعضاً (مت ٢٤: ٨-٩)، عندئذ يظهر مضلل العالم (رو ١٢: ٩) كابن الله (٢ تس ٢: ٤). ويصنع آيات وعجائب (مت 2٤: ٢٤)، وتصبح الأرض في قبضة يديه، ويرتكب أثاماً لم يحدث مثلها منذ البدء.
5. عندئذ تدخل الخليقة نار الاختبار، ويتعثر كثيرون ويهلكون. أما الذين يثبتون في إيمانهم فيخلصون (مت 2٤: ٨، ٩) من اللعنة.
6. عندئذ تظهر علامات الحق: أولاً علامة السماوات مفتوحة. ثم علامة صوت البوق (مت ٣٤: ٣١). ثالثاً قيامة الموتى، ليس جميعهم.
7. لكن كما قيل: سيأتي الرب ومعه جميع قديسيه (زك ١٤: ٥)، وسيُنظر العالم الرب آتياً على سحب السماء (مت 2٤: ٣٠).

الكتاب الثالث

كتابات الآباء الرسوليّين

الآباء الرسوليّون

1. القديس إكليمنضس الروماني.
2. القديس أغناطيوس الروماني.
3. القديس بوليكاربوس.
4. رسالة برناباس.
5. الراعي لهرماس.
6. الرسالة إلى ديوجنيتوس.
7. بابياس.
8. دفاع كوادرانس.
9. الديداكية.

الآباء الرسوليّون

The Apostolic Fathers

مضى الجيل الأول المعاصر للسيد المسيح، الشهود العيان له، وتتلّمذ كثيرون على أيدي رسله وتلاميذه، ولم تعد الكنيسة محصورة في بقعة ما، بل انطلقت في العالم تخمره بخميرة الحق وتلهبه بنيران الحب الإلهي، ووُجدت كنائس محلية كثيرة في الشرق والغرب، لها إيمان واحد، ورجاء واحد، وحب واحد، صلوات واحدة ومفاهيم واحدة ليتورجيات وطقوس ذات هيكل واحد. حتى يحق لنا أن نقول إنها ليست كنائس كثيرة بل كنيسة المسيح الواحدة الرسوليّة.

إن كانت هذه الكتابات الآباء الرسوليّين ليست إلا براعم الربيع الصغيرة، لكنها حيّة تحمل روح الكنيسة الواحدة، تكشف لنا ما تحمله من أوراق وزهور وثمار حملتها شجرة الكنيسة عبر الأجيال^[189]. لقد حملت إلينا صدى أصيلاً لكراسة

الرسول، وإعلاناً حقاً لبساطة إنجيل الخلاص، وصورة صادقة للتقليد الكنسي في تلك الفترة الفريدة^[90]. قدّمت لنا الإيمان الذي تقبله هؤلاء الآباء الرسوليّون خلال اتصالهم المباشر للرسول أو تسلّموه عن طريق تلاميذهم^[91].

أما تسميتهم بالآباء الرسوليّين فترجع إلى الدارس الفرنسي Jean B. Cotier من رجال القرن السابع عشر، الذي قام بنشر مجلّديه تحت اسم Patres aevi apostolici عام ١٦٧٢، وللذين شملا مجموعة الكتابات التالية:

1. الرسالة المنسوبة ليرناباس.
 2. كتاب "الراعي" لهرماس.
 3. رسالتان: إحداهما لإكليمنضس الروماني والأخرى منسوبة له.
 4. رسائل أغناطيوس السبع.
 5. رسالة لبوليكرابوس، ومقال عن استشهاده.
- في عام ١٧٦٥ أضاف إليها Andres Gallandi في مجموعته Bibliotheca Veterum Patrum الأعمال التالية:
6. رسالة إلى ديوجنيتس Diognetus لا يُعرف كاتبها.
 7. مقتطفات لبابياس و Quadratus.
 8. وفي عام ١٨٧٣ اكتشفت "الديداكية Didache" أو "تعليم الرب للأمم كما نقله الإثنا عشر رسولاً" أضيفت إلى الكتابات الرسوليّة.

وأخيراً فإن بعض الدارسين رأوا إضافة ما يسمى بـ "قانون الإيمان للرسول The Apostolic Creed" إلى الكتابات الرسوليّة، لكن الغالبية لم يقبلوا ذلك.

سمات كتابات الآباء الرسوليّين

جاءت أغلب هذه الكتابات أشبه برسائل، لكنها في الحقيقة لا تمثّل "وحدة في الطبع". لا نقدر أن نربط بين هذه الكتابات وبعضها البعض من جهة الطابع أو الموضوع، لكننا بشيء من التجاوز يمكننا القول أن هذه الكتابات في مجملها تعالج موضوعين:

١. وحدة الكنيسة الداخليّة وسلام بنيانها الداخلي.

ب. الحفاظ على الإيمان الخالص حتى لا تشوبه وثنيات.

اتسمت هذه الكتابات بالبساطة مع الغيرة الملتهبة، دون الاعتماد على الفلسفة اليونانيّة أو البلاغة الهيلينيّة. فباستثناء الرسالة إلى ديوجنيتس لا تحمل هذه الكتابات عملاً أدبيّاً.

جاءت هذه الكتابات وليدة احتياجات عمليّة رعوية، وليس لغرض علمي دراسي؛ فلم تقدّم لنا دراسات لاهوتيّة روحية. "الاهتمام الرعوي الأصيل" عامل مشترك في هذه الكتابات، فالآباء الرسوليّون يقدّمون قلوباً ملتهبة حباً نحو خلاص البشرية. لم يكن هؤلاء الكتاب جبابرة عقليّين بل قديسين بسطاء، يحبّون التقوى، ويكرّسون حياتهم وقلوبهم لمخلص حيّ يحيا فيهم وهم يحيوا به وفيه ومن أجله.

اتسمت كتاباته بالصبغة الاسخاتولوجيّة (الانتقائيّة) eschatological character. كان المجيء الثاني للسيد المسيح هو غاية "الحياة المسيحيّة"، خلال علاقتهم المباشرة مع الرسول، إذ كانوا يذكرون شخص المسيح بحماس. فقد كشفت كتاباتهم عن شوق عميق نحو السيد المسيح المخلص الصاعد، وهو لا يزال حياً وقائماً في وسطهم. ينتظرون مجيئه ليروه وجهاً لوجه. هذا الشوق حمل شكلاً قدسياً في حياتهم وكتاباته وعبادتهم.

اتسمت هذه الكتابات بالطابع الكنسي كما حملت روح الشركة، شركة الكنيسة في العالم كلّ في الإيمان والتقليد والعبادة. رغم بُعد المسافات بين الكنائس وبعضها البعض مع اختلاف الثقافات وتفصيل التقاليد.

القديس إكليمنضس الروماني St. Clement of Rome

تعتبر الرسالة إكليمنضس الروماني أول الكتابات الأباتية التي احتلت مركزاً خاصاً في كتابات الكنيسة الأولى وحياتها وعبادتها، كتب عنها القديس إيريناؤس في القرن الثاني الميلادي إنها رسالة لها وزنها^[192]. وأشار إليها ديونسيوس الكورنثي^[193] عام ١٧٠م بأنه قد صارت هناك عادة قائمة منذ عدة سنوات أن تُقرأ رسالة إكليمنضس في الكنيسة في يوم الرب. كما كتب المؤرخ الكنسي يوسابيوس^[194] أن قراءة رسالة إكليمنضس في كثير من الكنائس صار أمراً عاماً.

صمت التاريخ الكنسي عن تعريفنا بحياة القديس إكليمنضس، وتضاربت الأقوال عنه. يرى البعض أنه أحد معاوني القديس بولس في الخدمة، وهو نفسه الذي ذكره الرسالة في رسالته إلى أهل فيلبتي (في ٤: ٣). نادى بهذا العلامة أوريجينوس ونقله يوسابيوس^[195] فجيروم^[196] ثم تناقله كثيرون من بعدهم. ويحتمل أن يكون روماني الأصل أو يوناني، عمل بعض الوقت في فيلبتي، ثم بعد ذلك في روما.

يرى Lightfoot أنه إنسان شريف ليس قرابة مع القنصل قليمنس، من أصل يهودي. قيل أيضاً أنه كان عبداً يهودياً أو ابن عبد يهودي للقنصل المذكور، اعتقه فحمل اسم سيده^[197]. هذا وقد ذكر عنه القديس إيريناؤس: [رأى الرسل الطوباويين وتحدث معهم، كانت كراتهم لا تزال تدوي في أذنيه، وتقليدهم ماثلاً قدام عينيه].

تحدث عنه يوسابيوس أنه الأسقف الثالث على رومية^[198]، بعد لينوس وأناكليطوس، سيم أسقفاً في السنة الثانية عشرة لحكم دومتيانس، وتتيح في السنة الثالثة من حكم تراجان، أي من سنة ٩٣م حتى سنة ١٠١م.

وقد جاء عنه في أحد الكتب الأبوكريفا من القرن الرابع أنه حول ثيودورا إحدى شريفات روما وزوجها Sisinnius و٤٢٣ آخرين إلى المسيحية، الأمر الذي أثار غضب الشعب وأدى إلى نفيه في شبه جزيرة القرم^[199].

وروى البعض عنه^[100] أن مجلس اشيوخ بروما لم يحتمل أن يرى من بينهم شريفاً صار أسقفاً مسيحياً، يجذب الأشراف إلى المسيحية، فاجتمع ودعوه ونصحوه بالعدول عن مسيحيته، وإذ لم يقبل عرضوا تقريراً لتراجان الذي أمر بنفيه وتكليفه بقطع الأحجار. هناك في النفي التقى بحوالي إلفين من المسيحيين، وإذ كانت المياه بعيدة عنهم، صلى إلى الله الذي أرشده إلى صخرة بها نبع ماء يستقون منه. وقد آمن على يديه الكثير من الوثنيين، وتحول المنفى إلى مركز للعبادة والكراسة، الأمر الذي ملأ الولاة غضباً، فوضعوا في عنقه مرساه وطرحوه في البحر ومات غرقاً حوالي عام ١٠١م. وقد قيل أن الجسد بقي عاماً بأكمله في المياه دون أن يفسد حتى أظهره الرب.

رسالة إكليمنضس الأولى

حدث في القرن الأول حركة تمرّد في الكنيسة بكونثوس. قام جماعة من الشبان المتعجبين ظنّوا في أنفسهم أنه أكثر حكمة من الإكليروس وأقدر على التعليم، وبدأوا يشنون بين الشعب حملة تمرّد وعصيان، فطردوا كثيرين من عملهم^[101]. أسرع القديس إكليمنضس أسقف روما وكتب رسالة مملوءة حكمة، تمتاز بروح الانسحاق مع الحب، اعتمد فيها على الكثير من النصوص الكتابية مع أمثلة كثيرة من العهدين.

1. رسالة كتابية: اقتبست الكثير من العهدين، إمّا بعبارات منقولة عن الكتاب المقدس مباشرة أو مشابهة لها. ويلاحظ أنه استخدم الترجمة السبعينية التي عرفها غالباً عن طريق الرسول بولس والإنجيلي لوقا.
2. تكشف الرسالة عن أن ذكريات إكليمنضس بتعاليم السيد المسيح ورسالته كانت خصبة للغاية.

3. قَدِّمْتِ لَنَا مَعْلُومَاتٍ فِي تَارِيخِ الْكَنِيسَةِ عَنْ اضْطِهَادِ نِيرُونَ، كَمَا تَحَدَّثْتِ عَنْ جُمُوعِ الشَّهَدَاءِ، وَأَشَارْتِ إِلَى كَثْرَةِ النِّسَاءِ الشَّهِيدَاتِ^[102].

4. تَحْمَلُ مَفَاهِيمَ قِيَمَةٍ وَشَهَادَةً وَاضِحَةً عَنِ "العقيدة المسيحية" كما فهمها المسيحيون الأولون:

أ. ذَكَرَ الثَّالِثُ الْقُدُوسُ: الْآبَ وَالرَّبَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ وَالرُّوحَ الْقُدُسَ.

ب. لَاهُوتِ السَّيِّدِ وَرُبُوبِيَّتِهِ وَخِلاصِهِ.

ج. ضَرُورَةُ الْإِيمَانِ، بِدُونِهِ لَا خِلاصَ بِالْأَعْمَالِ الذَّائِمَةِ، إِذْ يَقُولُ: [وَنَحْنُ أَيْضًا الَّذِينَ دَعَيْنَا بِإِرَادَتِهِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ لَنْ نَتَبَرَّرَ بِذَوَاتِنَا وَلَا بِحُكْمَتِنَا وَلَا بِفُطْنَتِنَا وَلَا بِتَقْوَانَا، وَلَا بِالْأَعْمَالِ الَّتِي نَضْعُهَا فِي قَدَاسَةِ الْقَلْبِ، بَلْ بِالْإِيمَانِ الَّذِي مِنَ الْبَدءِ بَرَّرَ بِهِ الرَّبُّ ضَابِطَ الْكُلِّ كَلِّ النَّاسِ^[103]].

د. ضَرُورَةُ الْأَعْمَالِ الْمُرْتَبِطَةِ بِالْإِيمَانِ، وَهِيَ تَفْرَحُ اللَّهُ. يَقُولُ: [لِمَاذَا بُرِّكْنَا أَبُونَا إِبْرَاهِيمَ؟ أَلَيْسَ بِسَبَبِ اقْتِنَائِهِ الْبِرَّ وَالْحَقَّ خِلَالَ الْإِيمَانِ^[104]]. [إِذْنًا، مَاذَا يَنْبَغِي عَلَيْنَا أَنْ نَفْعَلَ يَا إِخْوَتِي؟ هَلْ نَهْمَلُ عَمَلَ الْخَيْرِ، وَنَكْفُ عَنِ الْحُبِّ؟! اللَّهُ لَنْ يَقْبَلَ هَذَا، بَلْ بِالْحَرِيِّ نَسْرِعُ فِي عَمَلِ الْخَيْرِ بِاجْتِهَادٍ وَفِي غَيْرَةِ. إِنْ خَالَقَ الْكُلَّ وَرَبَّهُمْ هُوَ نَفْسَهُ يَفْرَحُ بِأَعْمَالِهِ^[105]]. [الْعَامِلُ الصَّالِحُ يَتَقَبَّلُ خِزْيَ عَمَلِهِ بِجَرَأَةٍ، أَمَّا الْكَسُولُ وَالْمَتَهَوِّنُ، فَلَا يَجْسُرُ أَنْ يَنْظُرَ بَعَيْنَيْهِ إِلَى رَبِّ عَمَلِهِ^[106]].

هـ. التَّبريرُ بِالنِّعْمَةِ الْمَجَانِيَّةِ مَعَ الْجِهَادِ الْمُسْتَمِرِّ حَتَّى الْمَوْتِ [نِسَاءٌ كَثِيرَاتٌ صَرْنَ قُوَيَاتٍ بِالنِّعْمَةِ الْإِلَهِيَّةِ وَقَمْنَ بِأَعْمَالٍ خَارِقَةٍ^[107]].

و. التَّقْدِيسُ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ.

ز. الْفَضَائِلُ الْمَسِيحِيَّةُ مِنْ تَوَاضُعٍ وَاحْتِمَالٍ وَطُولِ أَنَاةٍ مَعَ تَرْكِيزٍ عَلَى الْمَحَبَّةِ. مِنْ كَلِمَاتِهِ: [الْمَسِيحُ هُوَ مَسِيحُ الْمَتَوَاضِعِينَ لَا الْمَتَعَجَّرِينَ عَلَى قَطِيعِهِ^[108]]. [الْحُبُّ يَقُودُ إِلَى أَعَالٍ لَا يُخْبِرُ بِهَا!... بِالْحُبِّ يَأْخُذُنَا الرَّبُّ إِلَيْهِ. بِالْحُبِّ يَحْمِلُنَا يَسُوعُ الْمَسِيحُ الَّذِي أَرَأَقَ دَمَهُ عَنَّا بِإِرَادَةِ اللَّهِ، وَأَعْطَانَا جَسَدَهُ عَنِ جَسَدِنَا، وَنَفْسَهُ وَنَفْسَنَا^[109]].

س. الْوَحْدَةُ الْكَنِيسِيَّةُ الْقَائِمَةُ عَلَى التَّقْدِيرِ الْمَتَبَادِلِ بَيْنَ الْأَعْضَاءِ. [لَا وَجُودَ لِلْكَبِيرِ بِدُونِ الصَّغَارِ، وَلَا لِلصَّغَارِ بِدُونِ الْكِبَارِ، وَإِنَّمَا فِي كُلِّ مَكَانٍ يُدْمَجُ (الْكُلُّ) لِنَفْعِ الْجَمِيعِ. أَعْظَمُ مِثْلٌ لِهَذَا هُوَ جِسْمُنَا، فَالرَّأْسُ بِدُونِ الْأَقْدَامِ لَيْسَ بِشَيْءٍ وَلَا الْأَقْدَامُ بِدُونِ الرَّأْسِ. نَعَمْ، فَإِنَّ أَقْلَ الْأَعْضَاءِ فِي جِسْمِنَا ضَرُورِيٌّ وَمُفِيدٌ لِلْجِسْمِ كُلِّهِ، أَوْ بِالْحَرِيِّ كُلُّ الْأَعْضَاءِ تَعْمَلُ مَعًا فِي خُضُوعٍ لِأَجْلِ حِفْظِ الْجِسْمِ^[110]]. [لِمَاذَا نَمزِّقُ أَعْضَاءَ الْمَسِيحِ وَنَقْطَعُهَا، نَثُورُ ضَدَّ جِسْمِنَا، وَيَسْتَوْلِي عَلَيْنَا جَنُونَ مُطْبِقُ كَهَذَا، نَنْسَى إِنَّنَا أَعْضَاءُ بَعْضِنَا الْبَعْضِ؟ اذْكُرُوا كَلَامَ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ^[111]].

ح. لِأَوَّلِ مَرَّةٍ نَجِدُ إِعْلَانًا وَاضِحًا وَصَرِيحًا عَنِ تَعْلِيمِ "التَّابِعِ الرَّسُولِيِّ" فَرَجَالُ الْإِكْلِيرُوسِ لَا يُسَامُونَ بِوَسْطَةِ أَعْضَاءِ الْجَمَاعَةِ، لِأَنَّ السُّلْطَنَةَ الرُّوحِيَّةَ لَا تُنْمَحُ مِنْهُمْ، وَإِنْ كَانَ مِنْ حَقِّ الشَّعْبِ أَنْ يَخْتَارَ رَاعِيَهُ، لَكِنْ سُلْطَانُهُمْ مُسْتَمَدٌّ مِنَ الرَّسْلِ، الَّذِينَ يَمَارِسُونَ سُلْطَانَهُ فِي طَاعَةِ الْمَسِيحِ^[112].

ط. يَعْالِجُ الْفَصْلَانِ ٢٤ وَ ٢٥ مَوْضُوعَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْأَمْوَاتِ، وَلِأَوَّلِ مَرَّةٍ تُسْتَعْمَلُ الْأَسْطُورَةُ الرَّمْزِيَّةُ الْقَدِيمَةُ الْخَاصَّةُ بِالطَّائِرِ "فُونِيكْس" أَوْ "العنقاء" فِي كِتَابَاتٍ مَسِيحِيَّةٍ لِتَأْكِيدِ الْقِيَامَةِ. وَهُوَ طَائِرٌ خِرَافِيٌّ زَعَمَ قَدَمَاءُ الْمَصْرِيِّينَ أَنَّهُ يَعْمَرُ خَمْسَةَ قُرُونٍ، بَعْدَهَا يَمُوتُ وَيَدْفَنُ نَفْسَهُ فِي تَابُوتٍ مِنَ الْمَرْ وَاللِّبَانِ وَالْعَطُورِ لِيَقُومَ وَهُوَ أْتَمُّ مَا يَكُونُ شَبَابًا وَجَمَالًا.

ي. أَوْضَحَتْ نَظْرَةُ الْكَنِيسَةِ لِلدَّوْلَةِ: فَبَيْنَمَا كَانَ إِكْلِيمَنْضُسُ وَشَعْبُهُ يَذُوقُونَ الْمَرَّ مِنَ الْإِمْبِرَاطُورِ دَوْمِطْيَانَ إِلَّا أَنَّهُ فِي رِسَالَتِهِ إِلَى أَهْلِ كُورِنْثُوسَ تَجَدَّهَ يَطْلُبُ الْخُضُوعَ لِلْوَلَاةِ وَالرُّؤْسَاءِ كَمَا يَقْدِمُ عَنْهُمْ صَلَاةً مِنْ كُلِّ قَلْبِهِ.

ك. كَشَفَتْ لَنَا عَنِ اللَّيْتُورْجِيَا فِي الْكَنِيسَةِ الْأُولَى، فِي هَذِهِ الرِّسَالَةِ نَسْتَشْفِ الْآتِي:

1. يَعْتَبَرُ إِكْلِيمَنْضُسُ الرَّومَانِيَّ أَوَّلَ كَاتِبٍ مَسِيحِيٍّ يَصِفُ التَّجْمَعُ اللَّيْتُورْجِيَّ لِلْكَنِيسَةِ الْمَسِيحِيَّةِ لِتَقْدِيمِ "قَرَابِينَهَا" بِتَنْظِيمِ كَنِسِيٍّ كَعْمَلِ الْهَيْ^[113]، إِذْ يَقُولُ: [أَمْرُنَا (الرَّبِّ) أَنْ نَقْدِمَ التَّقْدِمَاتِ حَسَبَ أَوْقَاتٍ وَسَاعَاتٍ مَعِيْنَةٍ. لَقَدْ حَدَّدَ نَفْسَهُ، بِأَمْرِهِ الْعُلُوبِيِّ، أَيْنَ نَتَمَّمُهَا وَمَنْ الَّذِي يَقْدِمُهَا، حَتَّى إِذْ يَتَمُّ كُلُّ شَيْءٍ بِوَرَعٍ حَسَبَ مَسْرَّتِهِ الصَّالِحَةِ تَكُونُ مَقْبُولَةً لَدَيْهِ^[114]].

2. كشف عن شركة كل المؤمنين في الليتورجيا، سواء الكهنة أو الشعب، ولكن كل واحد حسب عمله. إذ يقول: [أعطيت لرئيس الكهنة (الأسقف) ليتورجيات خاصة، وحددت للكهنة أماكن معينة، وللاويين (الشماسة) خدمات خاصة بهم، وللشعب القوانين الخاصة بهم. ليصنع (يشترك) كل واحد منكم يا إخوة في إفخارستيا eucharisteito لله حسب ترتيبه (وضعه) ^[115]].
3. ذكر بعض الرتب الكنسية مثل الأبوزياقونيين (مساعدى الشماسة)، والذياقون (الشماس)، الأيرسفيتيروس (القس)، والأسقف وأوضح أن عمله الرئيسي هو خدمة الليتورجيات وتقديم القرابين ^[116].
4. كشف عن السيد المسيح أنه "كاهن تقدماتنا العلي" ^[117]. فالعمل الكهنوتي هو عمل المسيح شخصياً الذي يعمل سرّاً في كهنته. أنها ذبيحة سماوية تُقام على الأرض، كاهنها المسيح نفسه، يقدمها على المنبح السماوي كفارة عن البشرية.
5. قدّم لنا أقدم وأروع شكل لصلاة ليتورجية (جماعية) في الكنيسة ^[118]. انتهت بمجدلة "دكصولوجية" doxology كعادة الكنيسة في نهاية كل صلاة ليتورجية ^[119].

تاريخ كتابتها

يحدّد أغلب الدارسين للرسالة تاريخ كتابتها بعام ٩٦م.

أقسامها

* افتتاحية من كنيسة روما إلى كنيسة كورنثوس، فيها يعلن الأب الأسقف حقيقة الكنيسة إنها متغربة على الأرض. هذه الحقيقة تتطلب أن تعيش الكنيسة وسط العالم بفكر سماوي، فلا تسلك بروح الغيرة والانقسامات، ولا تزحف على الأرض تطلب الفانيات، بل تهتمّ بخلاص كل أحد.

أولاً: جمال ملامح الكنيسة قبل الانقسام	فصل ١-٢.
ثانياً: ملامح الكنيسة بعد الانقسام	فصل ٣.
ثالثاً: سرّ الانقسام: الغيرة والحسد	فصل ٤-٦.
رابعاً: علاج الحسد والغيرة	فصل ٧-٥٨.
بالتوبة والإيمان العملي	فصل ٧-٨.
بالطاعة	فصل ٩-١٢.
بالتواضع	فصل ١٣-٢١.
تذكّر الدينونة وقيامه الأموات	فصل ٢٢-٢٩.
بالجهاد كأبناء الله	فصل ٣٠-٣٦.
بالخضوع للنظام والترتيب	فصل ٣٧-٤٧.
بالحب الذي هو باب البرّ	فصل ٤٨-٥٨.
خامساً: ابتهاج الله	فصل ٥٩-٦١.
سادساً: ختام	فصل ٦٢-٦٥.

[ترجمت نصوص الرسالة إلى العربية، ونشرت عام ١٩٧٤م].

الأعمال المنسوبة للقديس إكليمنضس الروماني

لعلّ ما حظي به القديس إكليمنضس من تقدير عام هو المسئول الأول عما نُسب إليه من كتابات أرثوذكسية وهرطقة، لكي تجد لها رواجاً.

1. رسالة إكليمنضس المسماة بالثانية The so-called Second Epistle of Clement

في حقيقتها عظة لا رسالة، لها أهميتها بكونها أول عظة مسيحية وصلت إلينا حتى اليوم. أما أهم ملامحها ومحتوياتها فهي:

ا. التركيز المستمر على التوبة كطريق للملكوت، وكوسيلة لعمل الله فينا: [لنتب مادمننا على الأرض، فإننا طين في يد فنان^[120]].

ب. الإيمان العملي خلال الطاعة للوصية واحتقار الشهوات الزمنية من أجل الأبدية.
ج. الكنيسة سابقة للوجود^[121]، روحية غير منظورة، صارت جسد المسيح^[122] وأماً للمؤمنين.
د. دعى العماد ختمًا Sphragis يلزم حفظه^[123].

2. رسالتان عن البتولية

دافع كثير من الدارسين الكاثوليك عن نسبتها لإكليمنضس غير أن غالبية الدارسين البروتستانت يرفضون ذلك، للأسباب التالية^[124]:

ا. صمت يوسابيوس عن ذكرهما.
ب. نغمتها النسكية تناسب النصف الأول من القرن الثالث^[125].
ج. تختلف الرسالتان هنا عن الرسالة الأصلية لإكليمنضس في طريقة الاقتباس من العهد الجديد، كما أن الاقتباس هنا من العهد القديم أقل.

ملاحظتهما ومحتوياتها:

ا. يبدو أن الرسالتين في الأصل عمل واحد، مع الزمن قُسم إلى جزئين.
ب. البتولية حياة يعيشها الإنسان بروحه في الداخل كما بجسده، وليست لقب شرف أو مجرد اسم يحمله البتول: [كل البتوليين من الجنسين... يلتزمون كل واحد فواحد منهم أن يكون متأهلاً لملكوت السماوات في كل شيء... الاسم وحده بغير الأعمال لا يدخل ملكوت السماوات، لكن إن كان الإنسان بحق مؤمناً، مثل هذا يخلص... لا يقدر الإنسان أن يخلص بمجرد تلقيه بتولاً وهو خالٍ من الأعمال الممتازة الكاملة التي تليق بالبتولية... فقد دعى ربنا مثل هذه البتولية جهلاً كما جاء في الإنجيل (مت ٢٥: ٢). وإذ لم تحمل زينةً ولا نوراً تركت خارج ملكوت السماوات، وطُردت من فرح العريس، وحُسبت ضمن أعدائه، مثل هؤلاء الأشخاص لهم فقط مظهر مخافة الرب ولكنهم منكرون قوتها (٢ تي ٢: ٥)].
ج. الحياة البتولية هي عمل إلهي فائق للطبيعة، تدخل بنا إلى الحياة الملائكية، ويختبر أصحابها الحياة السماوية، وذلك بتقدّيس روح الله^[126].

د. الحياة البتولية ليست هروباً من العالم لأجل الراحة الزمنية، إنما هي دخول في معركة الصليب حيث يجاهد البتول بروح الرب ضدّ الأنا وضدّ الشيطان ومحبة العالم وشهوات الجسد.

[إن كنت تتوق إلى هذا كلّه اغلب الجسد، اهزم شهوات الجسد، اغلب العالم في روح الله، انتصر على الزمنيات الباطلة التي تعبر وتشيع وتفسد وتنتهي... اغلب الشيطان، ببسوع الذي يقويك، بسماحك كلماته وتمتعك بالإفخارستيا في الله. احمل صليبه واتبعه، ذلك الذي يطهرك^[127]].

هـ. يقدّم الكاتب نصائح وإرشادات عملية تخص النساء، منها:

عدم الخلطة بين النساء والبتوليين من الجنسين معاً^[128]، خاصة عدم المزاح والأحاديث التافهة، والهروب من أماكن الشر^[129].

الالتزام بالعمل، إذ لا يسمح للكسالى حتى أن يأكلوا خبزاً^[130].

يخدمون لكن دون حب التعليم^[131]، ويهتمون بالفقراء والمرضى مع عدم تجاهل العبادة والحياة الروحية الداخلية^[132].

و. تظهر أهمية الرسالتين إذ تقدّمان لنا أقدم وثيقتين كمصدر للتاريخ النسكي المسيحي الأول وقوانين الحياة النسكية وعاداتها.

3. القوانين الرسولية The Apostolic Institutions

قدّمت لنا في الكتاب الثامن ما يُسمى بالليتورجيا الإكليمندية The Clementine Liturgy. كان الدارسون حتى القرن السادس عشر يعتقدون إنّها عمل أصيل من وضع القديس إكليمينس، وقد أدركوا بعد ذلك إنّها ليتورجيا شرقية من القرن الرابع.

4. الإكليمينصيات المزورة، وتسمى "كلمنتينا" أو سيّدو-كلمنتينا Pseudo-Clementina

وهي مجموعة كتابات مزورة متشابهة إلى حد ما، لكنها غير متجانسة معاً، منسوبة خطأ للقديس إكليمينس. كتبها جماعة من الأبيونيين^[133] الهرطقة، وهم شيعة متطرفة من بعض اليهود المتصرين، يحملون عداً للرسول بولس بكونه رسول الأمم، أو على الأقل يتجاهلون خدمته وكرزته. لذلك جاءت هذه الكتابات مليئة بعبارات التمجيد للرسولين بطرس ويعقوب أخي الرب، بكونهما رسولي الختان. كما ربطوا بين الرسول بطرس وسيمون الساحر عقب اللقاء الذي تم بينهما في السامرة حوالي عام ٣٧م ويصورون الرسول أنّه أخذ يتعقبه من سوريا حتى وصل إلى روما عاصمة الإمبراطورية وهناك أماته بصلاته^[134].

أما عن أفكار هذه الجماعة، فهما فريقان بين مترمّمت ومعتدل، الأول يحفظ ناموس موسى حفظاً حرفياً ويقدّسون السبت ويعتبرون الختان لازماً للخلاص. أمّا الفريق الآخر، فيحفظون ناموس العهد القديم، لكنهم لا يلزمون الجميع ولا يتعصّبون ضدّ من يرفضون حفظه. كانوا يحتفلون بيوم الأحد ولا يعترضون على آلام السيّد المسيح، لكنهم يشتركون مع الفريق الأول في إنكار لاهوته وأزليته^[135].

أما أهم كتابات الإكليمينصيات المزورة فهي:

ا. العظات Homilies: عبارة عن عشرين عظة أبيونية؛ تتحدّث عن السيّد المسيح كني ومعلّم وليس مخلصاً، وتكرّر لاهوته.

ب. المدركات Recognitions: في عشرة كتب.

ج. الخلاصة Epitome: وهي مقتطفات باليونانية بغير دقة أو اكترات منقولة عن العظات Homilies مضاف إليها مقتطفات عن رسالة إكليمينس ليعقوب عن "استشهاد إكليمينس Martyrium Clementis، بواسطة Simon Metaphrastes... الخ.

د. كتابات أخرى لها ذات الصبغة، منها مقتطفان عن المدركات Recognitions والعظات Homilies، وُجِدَت باللغة العربية.

كما نسبت له خمسة رسائل منها رسالتان موجّهتان إلى يعقوب أخ الرب، يضمّهما البعض إلى الإكليمينصيات المزورة. في الرسالة الأولى يظهر الكاتب رسالة إكليمينس بيد بطرس الرسول كخلف له على كرسي روما مع توجيهات خاصة بالتنظيمات الكنسية، والثانية تشير إلى خدمة الإفخارستيا وأثاث الكنيسة وبعض الأمور الطقسية^[136].

ملاحها ومحتوياتها

1. احتلت قصّة عائلة إكليمينس مركزاً هاماً في العظات كما في المدركات، وهي تتلخص في أن سيّدة تدعى ماتلدا زوجة فوستوس ووالدة ثلاثة أشخاص: فوستينوس وفوستينانوس وإكليمينس تركت روما متجهة إلى أثينا وفي صحبتها الابنان الكبيران، وقد اختفى الثلاثة. قام فوستوس بالبحث عنهم فاخفى هو بدوره. بقي إكليمينس بمفرده، فجال في العالم يبحث عن

الحق فوجد القديس بطرس. التصق به ودخل معه في مناظرات حيث كان يسأله عن الحق... وقد اكتشف بعدئذ بالتتابع والدته فأخويه ثم والده. وربما لهذا السبب دُعيت أحد هذه الأعمال بالمدركات.

2. بينما نُسبت الرسائلتان عن البتولية للقديس إكليمنضس، حيث يشبه البتولينين بالملائكة السمايين، وتعتبر البتولية هبة إلهية تمس الحياة الداخلية كما الجسد، إذ بالعظات المنسوبة لذات القديس تحمل اتجاهًا أبيقونيًا، إذ تهاجم الأبيقونية الحياة البتولية.

3. جاء في الإكليمنضيات المزورة بعض طقوس التطهير منسوبة للقديس بطرس مثل الامتناع عن العلاقات الجسدية بين الزوجين في فترة الطمث^[137]، والاستحمام بعد العلاقات الجسدية.

4. تقدّم لنا هذه الإكليمنضيات القديس بطرس كإنسان نباتي، إذ يقول: [أعيش ع الخبز والزيتون فقط، ونادرًا ما أكل خضروات... فإن نفسي تسبح في الأعالي في الأبديات ولا تتطّلع إلى السفليات^[138].]

ينظر الكاتب إلى أكل لحوم الحيوانات أنه ضدّ الطبيعة، أدخله إلى البشرية العمالقة الذين ولّدوا من الملائكة الساقطين^[139].

5. حملت العظات مفاهيم غير مسيحية خاطئة منها:

⊞ أن الناموس سلّم شفاهًا من موسى إلى السبعين كليماً، وبعد موته كُتب، لكنّه ضاع فأعيد كتابته لذا يحتاج إلى تنقية من بعض الأخطاء^[140].

⊞ لم يهتم الكاتب بدور السيد المسيح الخلاصي، ورفض فكرة سقوط آدم، إذ حسب الأخير نبياً حقيقياً يعرف كل شيء، قدّم هذه المعرفة لأولاده وعلمهم أن يخدموا الله في كل شيء، وبهذا أسس للبشرية كلّها قانوناً أبقياً^[141]. وإذ تجاهلت البشرية ذلك احتاجت إلى موسى ويسوع ليحقّقوا ما سبق أن قام به آدم. لهذا يمكن للإنسان أن يتنمّل على الواحد دون حاجة إلى الآخر، ما دام يمارس عملياً ما يعلمه ولا يحمل كراهية ضدّه؛ وكأنّه وضع موسى ويسوع على قدم المساواة... لأنّ همه الأول هو "النشاط العملي للإرادة" لا الإيمان بالخالص. تجاهل بنوّة السيد المسيح الإلهية، وتطلّع إلى كلمات يسوع على الصليب للغفران للمسيئين إليه مجرد مثال تنمّل به وليس عملاً خلاصياً^[142].

هذا الفكر يحمل اتجاهًا يهودياً، لذا يرى كثير من الدارسين أن الكاتب يهودي قبل المسيحية، فقد هاجم تعدد الآلهة وعبادة الأوثان والتجسيم، لكنّه لم يحمل فكراً مسيحياً حقيقياً.

مفاهيم روحية عن رسالة إكليمنضس الأولى

∇ التأمّل في الصليب: [لنركّز أنظارنا على دم المسيح؛ متحقّقين كم هو ثمين لدى أبيه! إذ أراقه قدّم نعمة التوبة للعالم كلّها! (٧: ٤)].

∇ الحاجة إلى التوبة: [اته يود أن يقّدّم فرصة للتوبة لكل محبوبيه، ويتبنّتها بإرادته القادرة] (٨: ٥). [احترزوا أيها الأحباء لنلا يصير كثرة لطفه دينونة لجميعنا، ذلك إن لم نسلك كما يليق به، ونتممّ بفكر واحد الأمور الصالحة المرضية في عينيه] (٢١: ١).

∇ الثقة في المواعيد الإلهية: [ليتنا لا نتردّد، ولا نتشكك من جهة عطاياه الثمينة المجيدة] (٢٣: ٢). [مباركة ومدهشة هي عطايا الله أيها الأحباء] (٣٥: ١).

∇ ترقب وعده بالقيامة: [على هذا الرجاء تلتصق نفوسنا بالأمين في مواعيده، العادل في أحكامه] (٢٧: ١).

∇ شهادتنا لله بسلوكنا: [إفليشهد الآخرون عن أعمالنا الصالحة، كما شهدوا لأبائنا الصديقين] (٣٠: ٧).

∇ نشكر الله على عمله معنا وفيّنا: [إليق بنا أن نشكره ما دام كل ما فينا هو منه] (٣٨: ٤).

v الاهتمام بدراسة الكتاب المقدس: [انكبوا على دراسة الكتب المقدسة التي هي بحق منظومات الروح القدس] (٤٥ : ٢).

v الاهتمام بالحب الأخوي اللائق والمقدس والعملية.

[لننظر حقدَام الرب ونسأله بدموع أن يجعلنا رحميين، ويصالحنا معه، ويعيدنا إلى ممارسة الحب الأخوي الذي كان لنا، اللائق والمقدس.

إنه باب البرّ الذي يفتح الطريق للحياة، كما هو مكتوب: "افتحوا لي أبواب البرّ، أدخل فيها وأحمد الرب. هذا هو باب الرب والصدّيقون يدخلون فيه" (مز ١١٨ : ١٩ ، ٢٠).

الحب يقود إلى أعالي لا يُخبر بها!

الحب يوحدنا مع الله، إذ "المحبّة تستر كثرة من الخطايا" (١بطء : ٨؛ أم ١٠ : ٢)...

بالحب يصير مختارو الله كاملين، وبدونه ليس شيء يرضي الله.

بالحب يأخذنا الرب إليه.

بالحب يحملنا يسوع المسيح الذي أراق دمه عنا بإرادة الله، وأعطانا جسده عن جسدنا، ونفسه عن نفوسنا.

انظروا أيها الأحباء، يا لعظم الحب. إنه مدهش! كماله لا يمكن وصفه!...

يجلس الكاملون في الحب بالنعمة الإلهية في مجالس القديسين، ويظهرون عند إعلان ملكوت المسيح] (٤٨ - ٥٠)

v اهتمامنا بالخطاة: [لنصل نحن أيضاً من أجل الذين ارتكبوا أية خطيّة، حتى إذ تعاملهم بالوداعة والتواضع يمتثلون لا

لنا بل لإرادة الله. بهذه الكيفية يكون ذكرنا لهم مثمراً وكاملاً وبلطف في صلواتنا لله وقدام القديسين] (٥٦ : ١).

⊞ الهروب من الكبرياء: [من الأفضل أن تكونوا صغاراً ومكرّمين في قطع المسيح، عن أن تكونوا مشهورين وخارج

رجائه] (٥٧ : ٢).

القديس أغناطيوس الشؤفورس [143]

St. Ignatius of Antioch

أسقف أنطاكية

ولد ما بين عامي ٣٠، ٣٥م؛ سوري الأصل على الأرجح، هيليني الثقافة، وثي. يرى أناستاسيوس الكتيبي [144] الذي عاش في القرن التاسع أنه ذاك الطفل الذي حمله السيد المسيح مقدّمًا إياه مثلاً للتواضع (مت ١٨: ٢-٤)؛ بينما يرى القديس يوحنا الذهبي الفم الأنطاكي المولد، في أواخر القرن الرابع أن القديس أغناطيوس لم ير السيد المسيح [145].

إذ رأى الرسل غيرته المتقدمة رسموه أسقفًا على أنطاكية، وقد اختلف البعض في شخصية من سامه، فيرى البعض أن الرسول بطرس سام أفوديوس على اليهود المتصرين والرسول بولس سام أغناطيوس على الأمم المتصرين. وأنه لما نتيج الأول تسلّم أغناطيوس رعاية الكنيسة بشطريها. على أي الأحوال اتّسم بغيرته على خلاص النفوس، فكتب الكثيرين من الأمم للسيد المسيح.

اتسم بحبه الشديد لشعبه كما يظهر من حديثه مع مستقبله في أزمير أثناء رحلته إلى روما للاستشهاد، إذ كان يذكر أمام مستقبله شعبه، ويطلب إليهم الصلاة من أجلهم.

وضعه نظام التسبحة

قيل أنه نظر في رؤيا الملائكة تسبح مجدة الثالوث القدوس، فنقل النظام الذي لاحظته إلى الكنيسة الأنطاكية، حيث انتشر بعد ذلك بين بقية الكنائس.

لقاؤه مع والي سوريا

سمع الوالي عن غيرته على انتشار المسيحية فاستدعاه، ودخل معه في حوار من جهة "يسوع المصلوب"، انتهى بإصداره الأمر بأن يُقيد أغناطيوس القائل عن نفسه أنه حامل في قلبه المصلوب، ويُقاد إلى روما العظمى، ليُقدّم هناك طعامًا للوحوش الضارية، إرضاءً للشعب.

سمع الأسقف بذلك فابتهج جدًا. إذ جاءت الساعة التي طالما ترقبها، وحسب هذا الأمر أعظم هدية قدّمت إليه؛ إذ جثا وصرخ مبتهجًا: "أشكرك أيها السيد الرب، لأنك وهبتي أن تشرقني بالحب الكامل نحوك، وسمحت لي أن أُقيد بسلاسل حديدية كرسولك بولس". ولما صلى هكذا قبّل القيود، متضرعًا إلى الله أن يحفظ الكنيسة، هذه التي ائتمنه الرب عليها لخدمها حوالي ٤٠ عامًا.

إلى روما

خرج القديس في حراسة مشددة من عشرة جنود، وقد صاحبه اثنان من كنيسته هما روفوس وزوسيموس اللذان شملهما الحكم بالإعدام. وإذ رأى الجند حب الشعب له والثقافة حولهم عند رحيله تعمدوا معاملته بكل عنف وقسوة، حتى دعاهم بالفهود بالرغم من لطفه معهم وما دفعه الشعب لهم كي يترقفوا بأسقفهم.

وصلوا إلى سميرنا Smyrna حيث استقبله القديس بوليكاروبوس أسقفها، كما جاء إليه أساقفة كنائس مغنيسية (مانيسيا) [146] Magnesia وأفسس وتراليا [147] Tralles مع وفود من الكنائس يتبركون به، ويلتقطون درر تعاليمه. استغل الفرصة وكتب رسائل إلى هذه الكنائس، كما كتب رسالة بعثها إلى روما، إذ سمع أن بعض المؤمنين يبذلون كل الجهد لينقلوه من الاستشهاد، جاء فيها:

إلا أطلب إليكم سوى أن أكون سكيبًا لله مادام المذبح معدًا... أطلب إليكم ألا تظهروا لي عطفًا في غير أواته، بل دعوا الوحوش تأكلني، التي بواسطتها يوهب لي البلوغ إلى الله. إنني حنطة الله. اتركوني أطنح بأنياب الوحوش لأصبح

خبزًا تقيًا للمسيح. هيجوا هذه الوحوش الضارية لتكون قبراً لي، ولا تترك شيئاً من جسدي، حتى إذا ما مُت لا أتعَب أحدًا، فعندما لا يعود العالم يرى جسدي أكون تلميذًا حقيقيًا للمسيح^[148].

في تراوس

أبحر بالسفينة من سميرنا إلى تراوس، حيث كتب القديس أيضًا ثلاث رسائل "إلى فيلادلفيا، وسميرنا، والقديس بوليكاربوس". من تراوس أبحر إلى نيوبوليس، ثم فيلبّي، ثم *Epirus* و *Tyrhene* وأخيرًا إلى منطقة *Portus* حيث التقى بالإخوة الذين امتزج فرحهم بروؤيته وبعزيمهم لانتقاله. قابلهم بكل محبة، سائلًا إياهم أن يظهروا المحبة الحقيقية ويتشجعوا. جثا على ركبتيه وصلّى لكي يوقف الله موجة الاضطهاد عن الكنيسة، وأن يزيد محبة الاخوة لبعضهم البعض. أخيرًا أسرع به الجند إلى الساحة، وأطلقت الوحوش ليستقبلها بوجهٍ بائس، كمن يُسرع إلى المدينة السماوية الأبدية، ليعيش مع سيده في الأمجاد الأبدية. وثب عليه أسدان، ولم يبقا منه إلا القليل من العظام. استشهد حوالي سنة ١٠٨ بروما^[149]. جمع المؤمنون ذنائبه وأرسلوها إلى كنيسته بأنطاكية، فدفنت خارج السور بالقرب من باب دفته. وبقيت هناك حتى أيام القديس إيرونيموس، ثم تحول هيكل فورثونة في قلب أنطاكية إلى كنيسة مسيحية، فنقل الإمبراطور ثيودوسيوس الصغير (٤٠٨-٤٥٠) رفات القديس إلى هذه الكنيسة، وأطلق عليها اسم الشهيد البار تخليدًا لذكراه^[150]. تعيد له الكنيسة القبطية في ٧ من شهر أبيب.

رسائله

ظهرت ١٥ رسالة: ٧ رسائل حقيقية، و ٨ رسائل مزيفة. الرسائل الحقيقية موجهة إلى كنائس أفسس ومغنيسية وتراليا (ترالز) وروما وفيلادلفيا وسميرنا (إزمير) وإلى الشهيد بوليكاربوس. أما المزيفة فموجهة إلى السيدة العذراء ومريم الكاسابيلية (الكسبولة *Cassabola*) والرسول يوحنا (رسالتان) وهيرون (شماس أنطاكي) وإلى كنائس أنطاكية وفيلبي وطرطوس (تراسيا). وصلت إلينا الرسائل الحقيقية في مجموعات ثلاث: قصيرة (يونانية) وطويلة ومختصرة (سريانية). اتفق معظم العلماء على أن النص القصير هو النص الأصلي، وأما المطول فجاء شارحًا للأصل. حُفظ النص القصير في مخطوطة يونانية قديمة^[151] وهي تعود إلى القرن الثاني، لكنها لا تشمل نص الرسالة إلى أهل روما. وقدّم النسخ التي تتضمن نص الرسالة إلى روما لا تعود إلى ما قبل القرن العاشر^[152].

المفاهيم اللاهوتية والروحانية

اتسمت مفاهيمه اللاهوتية بالآتي:

1. إذ جمع القديس أغناطيوس في شخصه البساطة الشديدة بلا تكلف مع الصراحة وعدم حبه للدعاية والمظاهر وأيضًا الصلابة في التمسك بالإيمان المستقيم، كتب لا كدارس باحث، وإنما كراعٍ يقظٍ وأبٍ محبٍ مترفقٍ، يهتم بإبراز الحق في استقامة، وحفظ أولاده من البدع، خاصة المعاصرة له مثل (الخياليين) أو الدوسيتيين^[153] *Docetists* الذين حملوا اتجاهًا نحو إنكار التجسد والصلب بكون جسد المسيح "خيالًا". كتب ليشعل قلوب أولاده بنار الحب الإلهي، ويبعث فيهم الانشغال بالحضرة الإلهية، والتمتع بالكنيسة الجامعة (الكاثوليكية) كحياة معاشة واتحاد مع المسيح.
2. العقيدة - كما تظهر من رسائله - ليست فكرًا فلسفيًا، وإنما هي حياة معاشة، يختبرها المؤمن دون فصل بين الإيمان بالله (اللاهوت) وعمله الخلاصي وممارسة الحياة الكنسية على صعيد الروح خلال الواقع العملي مع انشغاله بخلاص اخوته.
3. يركّز على الوحدة المسيحية في كل رسائله، فيحسب نفسه مكرسًا لهذا العمل: **إلقد قمتُ بما في وسعي القيام به كإنسان يعيش من أجل الوحدة**^[154].

4. خلافاً للقديس إكليمنضس الروماني، لا يقتبس من العهد القديم، وإنما لأنه تلقى تربية مستقلة عن مجمع اليهود، بكونه نبتة جديدة ظهرت في أرض وثنية من زرع مسيحي تقي [1155].
5. كشفت لنا هذه الرسائل عن روح آباءنا من جهة حبه المتهب نحو الله، وشوقهم لتمتع الكل بالروح الكنسية الإنجيلية، ورغبتهم الصادقة نحو الاستشهاد مع حزمهم الشديد ضد الهرطقات ومقاومتهم لها ولأصحاب البدع والمنشقين عن الكنيسة، وفتحهم باب التوبة على مصراعيه أمام الراغبين منهم في العودة إلى أحضان الكنيسة.
6. كتابته الرسائل وعينه تتطلعان لا إلى روما حيث تنتهي حياته الزمنية بل بالحري إلى السيد المسيح السماوي وهو يُعد له موضعاً في الأمجاد طبع عليها اتجاهها اسخاتولوجياً (أو انقضائياً). في رسالته إلى روما يقول: [عندئذ أصبح تلميذاً حقيقياً ليسوع المسيح عندما لا يعود يرى العالم جسدي بعد [1156]؛] [عندما اختفي من هذا العالم أستطيع أن أدعى مؤمناً حقيقياً [1157].] [ليس شيء منظور جميلاً، حتى إلهنا يسوع المسيح يعلن بصورة أفضل الآن إذ عاد إلى حضن الآب [1158].]

١. المسيح المخلص

- أ. السيد المسيح هو المعلم الذي تتلمذ عليه الأنبياء قبل مجيئه وذلك بعمل الروح القدس الذي سبق فوجه أنظارهم إلى المعلم، المسياً المخلص، وقد تحققت نبوءاته واشتياقهم بمجيئه. [يسوع المسيح معلمنا الأوحده... حتى الأنبياء تتلمذوا له بالروح، وقد توقعوا مجيئه معلماً [1159].]
- ب. أوضح لاهوت السيد المسيح وناسوته بجلاء تام: [يوجد طبيب واحد، هو في الوقت نفسه جسم وروح (إنسان وإله)، مولود *gennetos*، وغير مولود، الله صار إنساناً. حياة حقيقية في موت (جسد قابل للموت)، من مريم ومن الله، في البدء كان قابلاً للألم وأصبح الآن غير قابل للألم، هو يسوع المسيح ربنا [1160].]
- ج. أنه فوق الزمن وغير منظور. [تطلع إلى ذلك الذي هو فوق الزمن - غير الخاضع للزمن ولا منظور، الذي لأجلنا صار مرثياً، غير الخاضع للألم صار لحسابنا خاضعاً للألم، محتملاً كل شيء لأجلنا [1162].]
- د. حياتنا الجديدة هي في المسيح يسوع مصدر الحياة كما سنرى في الحديث عن الخلاص وعن الشركة في المسيح.

الخلاص

- في رأي القديس أغناطيوس [1163] توجد مملكتان: مملكة الله مصدر الحياة والخلود وحده ومملكة إبليس المؤقتة يسودها الفساد والموت. أما الإنسان فيذاته لا تتمتع نفسه بالخلود... إنه في حاجة أن يتحد بالمسيح واهب الحياة والخلود. فمن كلماته: [لا تنكر صلاحه (المسيح)، لأنه لو عاملنا بالمثل كما نعامله لقضي علينا [1164].]
- الآن كيف يتحقق الخلاص؟

- أ. السيد المسيح كواهب الحياة وحده قادر أن يطهرنا من سلطان الفساد والموت إذ يقول: [وُلد واعتمد لكي يطهر الماء بآلامه [1165].]
- [ينشر على كنيسته عطر الخلود [1166].]
- [بدونه ليست لنا حياة حقيقية [1167].]
- ب. صُلب السيد المسيح حقاً [1168]، لكي يهبنا بصليبه الحياة، لذا يدعو الصليب "شجرة الحياة" [1169]، أغصانها هم المؤمنون الثابتون فيه، يحملون ثماراً غير فاسدة [1170]. الصليب هو أساس الاستشهاد كدعوة لقبول الموت مع المصلوب. إذ يقول: [دعوني اقتدي بآلام إلهي؛ من كان الله معه فليفهم ما أريد... أنا حنطة الله! أطنح تحت أنيابها لأصبح خبزاً نقياً للمسيح... حينئذ أصبح تلميذاً حقيقياً ليسوع المسيح عندما لا يرى العالم جسدي [1171].]

ج. بالموت حطم السيد المسيح الشيطان ونزع عنا الموت:

[لا تعيشوا كسائر الناس بل بحب يسوع المسيح الذي مات لأجلكم الذي إذا آمنتم بموته تخلصون من الموت]172].
بأحدنا بجسد المسيح القائم من الأموات نستعين بالموت ومنتصر عليه. إذ تكون الحياة المُقامة ليست فقط في تناول
يد المؤمن بل عاملة فيه خلال شركته مع مسيحه.

[أما أنا فأعرف وأؤمن أنه ظل في الجسد حتى بعد قيامته... في الحال لمسوه (لو ٢٤ : ٣٩)، وآمنوا وأتحدا
بجسده وروحه، فاستهانوا بالموت، وانتصروا عليه. وبعد قيامته أكل وشرب مثل البشر، لكنّه كان متحدًا بالآب في
الروح]173].

يرى أن الله الكلمة تجسد حقًا ووُلد وصلب حقًا ومات حقًا أمام السمايين والأرضيين والذين تحت الأرض، غايته أن
تكون قيامته حقيقة واقعة، ليهبنا جسده المقام فنقوم فيه ومعه. [وقام حقًا من الموت، والآب هو الذي أقامه، وسيقيمنا نحن في
يسوع المسيح، وكل الذين آمنوا به، فبدونه ليست لنا حياة حقيقية]174].

نظرتة للموت

يرى الأب رومانيدس في كتابه: [لاهوت الكنيسة عند القديس أغناطيوس] أن شوقه إلى الموت ليس عن حماس
أخروي ولا عن تعب، إنّما عن فهم كتابي (إنجيلي) للشيطان حيث يرتبط مع الموت (٢ كو ٢ : ١١). ففي نظره الخوف من
الموت هو استعباد للشيطان، أمّا من يتحد بالسيد المسيح ويتلمذ له فلا يخاف الموت، لأنّه يتمنّع بالاتحاد مع الحياة والخلود
وعدم الفساد. بالموت يبلغ الإنسان إلى الآب والسيد المسيح فينعم بالحياة الخالدة.

[أمامنا شينان: الموت والحياة... توجد عملتان: عملة الله وعملة العالم، ولكل منهما ختم خاص بها. لغير المؤمنين
ختم العالم، وللمؤمنين القائمين في المحبة ختم الله الآب بيسوع المسيح. إن لم نختر بملء حرّيتنا أن نموت معه لنشترك في
آلامه، فحياتهم ليست فينا]175].

[لتأت عليّ كل هذه: النار والصليب، مجابهة الحيوانات المفترسة، التمزيق والكسر... لتنصب عليّ كل عذابات
الشيطان، على أنّي أبلغ يسوع المسيح]176].

[رئيس هذا العالم (الشيطان) يفرح بإقصائي بعيدًا عن الله وإفساد اشتياقي إليه؛ ليتكم أيها القاطنون بروما لا
تعاونوه بل تكونوا في جانبي، أي مع الله]177].

[لماذا أسلم نفسي إلى الموت، إلى النار، إلى السيف، إلى الوحوش الضارية!... القريب من السيف هو قريب من
الله، والذي مع الوحوش هو مع الله، على أن يتم ذلك كلّه باسم يسوع المسيح؛ وإنني احتمل كل شيء لاشترك في
آلامه]178].

جاء في حوارهِ مع تراجان: [أنا كاهن سيدي يسوع المسيح، وله أقدم الذبيحة كل يوم، وأرغب أن أقدم حياتي ذبيحة
كما قدّم حياتهم ذبيحة، حبًا فيّ].

٢. الكنيسة

أ. الكنيسة موضع الذبيحة *Thysiasterion*.

ب. الكنيسة جماعة حب.

[كل الأمور حسنة على السواء؛ إذا آمنتم وأنتم في المحبة]179].

السيد المسيح هو الحياة الخالدة، إذ يهبنا الحياة يعطينا الحب الإلهي: [فإن شرابه، أي دمه... هو المحبة غير
الفاصلة]180].

ج. الكنيسة جماعة شكر وتسييح.

خلال سرّ الشكر تظهر الكنيسة من جانبين: جانب إيجابي: تمتّع بالحب والنقاوة والوحدة وشركة الخلود مع التسبيح والفرح. وجانب سلبي: تقاوم إبليس وتغلبه.

[اهتموا في أن تجتمعوا بكثافة أكثر لتقديم الشكر والمجد لله، فعندما تجتمعون مراراً معاً في الاجتماع الإفخارستي، تضحل قوى الشيطان، وتتحل قوته أمام اتفاق إيمانكم وتألفه^[181].]

[لا يخدم أحد نفسه، فإذا كان الإنسان خارج الهيكل يُحرم من خبز الله... ومن لا يأتي إلى الاجتماع معاً يتكبر ويقطع نفسه عن الشركة^[182].]

[من كان داخل المذبح فهو نقي، وأما من كان خارج المذبح فهو ليس نقياً^[183].]

كنيسة المسيح

كاثوليكية الكنيسة (الكنيسة الجامعة!)

أول من دعي الكنيسة بالكاثوليكية هو القديس أغناطيوس، هذا لا يعني إنها من وضعه، لكن سجل ما كان سائداً في عصره عن جامعّة الكنيسة وكلمة "كاثوليكية" مركبة من مقطعين، هما "كاث" و"ولو" olo و kay، أي الكل معاً في وحدة، وهي كلمة شرقية من واقع الخبرة الشرقية، لا علاقة لها بالمفهوم الخاص بالكنيسة اللاتينية، استخدمت الكلمة في الليتورجيات الشرقية، لا لتعني الوجود في بقعة معينة أو الوجود الجغرافي حتى في العالم، إنّما الوجود الروحي وارتباطه حول المذبح الواحد.

[اجتمعوا في هيكل واحد لله، حول مذبح واحد، في يسوع المسيح الوحيد، الذي خرج من أب واحد، وكان معه واحداً، وإليه عاد وهو واحد^[184].]

الوحدة الكنسية

تقوم هذه الوحدة كأيقونة حية للوحدة بين الآب والسيد المسيح، وكعلاقة للحب.

أ. وحدانية الله: [واحد هو الله، أظهر نفسه بابنه يسوع المسيح^[185].] الله الواحد هو الثالوث^[186]، الآب أبو يسوع المسيح^[187]، والمسيح إلهنا^[188]، والروح القدس.

ب. وحدة الآب والمسيح: الآب والسيد المسيح هما رجاؤنا المشترك^[189]، مصدرنا الحب والرحمة والنجاح^[190]، مصدرنا سلطان الكاهن^[191].

حياتنا هنا هي "في المسيح^[192]"، كما "في الله (الآب)^[193]"، وغاية حياتنا هو أن "تعال الله^[194]" أو "تعال المسيح^[195]".
المسيحيون هم هيكل الله وهيكل المسيح، يسكن الله فيهم وهكذا المسيح^[196].

ج. وحدة شخص المسيح: [يوجد طبيب واحد، هو في الوقت نفسه جسم وروح (إنسان وإله)^[197].]

د. وحدة المسيحيين والكنيسة: تتحقّق الوحدة في الكنيسة المحليّة خلال الأسقف المنظور الذي يمثّل الأسقف غير المنظور^[198]، سلطانه ينحدر من الرسل، وهو صورة الله غير المنظور^[199]. كرّس القديس أغناطيوس حياته من أجل الوحدة، ففي نظره الأسقف هو حارس الوحدة بكونه راعٍ يهتم بحياة الرعيّة.

هيكل مقدّس

نحن هيكله نفتّيه فينا وهو يقتنينا بدمه الثمين.

[لنعمل ما ينبغي علينا عمله، معتبرين أنّه حالّ فينا، ونحن هياكله، وهو إلهنا الساكن فينا. وهذا سيظهر لنا بكل وضوح إن أحببناه باستقامة^[200].]

[اعتبرتم نفوسكم حجارة هيكل الآب، أعدت لبناء الله، ورُفِعتم إلى فوق بأداة يسوع المسيح، أي بالصليب، وبحبل الروح القدس. إيمانكم يسحبكم إلى فوق، والمحبة هي الطريق الذي يؤدي بكم إلى الله.

أنتم إذن رفاق الطريق، حاملون الله *Theophoroi* والهيكل *Naophoroi* والمسيح *Christophori* والقدسات^[201] *Agiaphoroi*.

حامل الله (الثيؤفورس)

يلقب القديس أغناطيوس نفسه في كل افتتاحية من رسائله بالثيؤفورس وعند محاكمته سأله تراجان الإمبراطور: "ماذا تقصد بحامل الله ثيؤفورس"؟ أجابه: "أن يكون السيد المسيح في قلبه". ونراه في النص السابق يدعو المؤمن "ثيؤفورس" أي حامل الله، و"ثاؤفورس" أي حامل الهيكل و"خريستوفورس" أي حامل المسيح، و"أجيافورس" أي حامل القدسات.

الشركة مع المسيح

[بكل نقاوة ورزانة أقيموا في المسيح يسوع، بالجسد والروح^[202].
[إني أصلي أن توجد فيهم نعمة الاتحاد بجسد يسوع المسيح وروحه، الذي هو حياتنا الأبدي، وحدة الإيمان والحب، التي لا شيء يفضلها^[203].]

[الأمر الوحيد الضروري هو الوجود في المسيح يسوع للحياة الأبدية^[204].]

الاقتداء بالمسيح

[لا يستطيع الجسد أن يأتي بأعمال روحية، ولا الروحانيون عمل الجسديين؛ ولا يمكن للإيمان أن يمارس عمل الكفر، ولا الكفر عمل الإيمان، والأعمال التي يمارسونها حتى في الجسد هي روحية، لأنكم تعملون كل شيء في اتحاد مع يسوع المسيح^[205].]

[تمثلوا بيسوع المسيح كما يتمثل هو بالآب^[206].]

[ادعوني أتمثل بآلام إلهي^[207].]

الإفخارستيا

الإفخارستيا بالنسبة للمؤمن هي:

⊞ غذاء روحي يشبع النفس، ويهبها الخلود^[208].

⊞ دواء يشفي المؤمن من أمراض الروح وضعفاتها ومن الموت^[209].

⊞ تمتع بالوحدة مع الله والكنيسة، حيث يجتمع المؤمنون حول الأسقف، وحول مذبح واحد، ليس لربنا يسوع المسيح

سوى جسد واحد وكأس واحدة توحدنا بدمه^[210].

يتطاع القديس أغناطيوس إلى الإفخارستيا كذبيحة *thysia* حقيقية، فكثيراً ما يشير إلى المذبح والذبيحة والهيكل^[211].

[صلاة واحدة، تضرع واحد، عقل واحد، رجاء واحد في المحبة وبفرح لا عيب فيه، هذا هو يسوع المسيح...]

[اجتمعوا في هيكل واحد لله حول مذبح واحد في يسوع المسيح الوحيد^[212].]

العماد

ذكر العماد في رسائل القديس أغناطيوس أربع مرّات، في اثنتين منها يشير إلى عماد السيد المسيح في الأردن، والأخرى إلى سرّ الكنيسة.

[وُلد واعتمد ليظهر المياه بآلامه^[213].]

[عمده يوحنا حتى يتم كل بر...^[214].]

[لا يمنح العماد بدون علم الأسقف^[215].]

الاستشهاد

[إنكم متمثلون بالله، وقد أكملت عمل الإخوة حتى النهاية بدم الله. وما أن عرفتم بمجيئي من سوريا، موثقاً لأجل

الاسم... راجياً أن أحظى بمعونة صلاتكم، بمجابهة الوحوش في روما لأتمكّن من أن أكون حقاً تلميذ المسيح^[216].]

هيجوا هذه الوحوش الضارية لتكون قبراً لي، ولا تترك شيئاً من جسدي... حينئذ أصبح تلميذاً حقيقياً ليسوع المسيح عندما لا يرى العالم جسدي... صلوا إلى المسيح من أجلّي حتى عندما أعدو بفضل الوحوش الضارية ضحية إلهي [217].

لقد وجدت الكنيسة الأولى في كلمات القديس أغناطيوس النارية مفاهيم الاستشهاد والشوق إليه، في رسالته إلى أهل رومية، فكانت تُقرأ مرّة ومرّات في أوقات الاستشهاد [218]، لتهيئة النفوس بالشوق نحو الاتحاد مع المسيح المتألم وقبول دعوته للانطلاق نحو الآب... [دعوني أتمثل بآلام إلهي!]

الشهادة للمسيح [219]

⊞ بالصلاة من أجل الآخرين: [صلوا بلا انقطاع من أجل الآخرين فإنه يرجي فيهم التوبة ليبلغوا إلى الله [220].]
⊞ بالقدوة الصالحة: [علموهم على الأقل بأعمالكم، فيكونوا لكم تلاميذ. قابلوا غضبهم بالهدوء، وكبرياءهم بالوداعة، وتجديفهم بالصلاة... كونوا مترفقين أمام قسوتهم، ولا تطلبوا الانتقام [221].]
[من الأفضل أن نصمت ونعمل عن أن نتكلم ولا نعمل. فالتعليم حسن، إذا كان المعلم يعمل بما يعلم به. ليس لنا سوى معلم واحد، هو الذي قال وعمل كل ما قاله [222].]

الإكليروس

⊞ الدرجات الكهنوتية الثلاث مع الشعب يلتزمون بالعمل كإرادة الآب، حسب فكر المسيح، بالروح القدس:
[إنها (الكنيسة) فرحي الأبدي، لاسيما إن تاير أبناؤها على أن يكونوا واحداً مع الأسقف والقساوسة والشمامسة الذين أقيموا معه (مع الأسقف) حسب فكر يسوع المسيح الذي يثبتهم حسب مشيئته الخاصة وبروحه القُدوس [223].]
[أسقف واحد مع القساوسة والشمامسة رفاق في الخدمة، وهكذا تتممون في كل شيء مشيئة الله [224].]
الكنيسة كجماعة ليتورجية متعبدة لله حول المذبح لا يمكن أن تقوم بدون الإكليروس في درجاته الثلاث: [يدون هؤلاء لا توجد كنيسة [225].]

⊞ كل ما يتعلّق بالكنيسة ينبغي أن يتم بالاشتراك مع الأسقف والقساوس والشمامسة:
[لازموا الأسقف ملازمة المسيح لأبيه،
واتبعوا لقيف القساوسة اتباعكم للرسول،
كرموا الشمامسة كاحترامكم لوصية الله.
لا يصنع أحد شيئاً يخص الكنيسة بدون الأسقف [226].]

[يكرم بعضهم الأسقف بالكلام فقط ولا يعتبرونه في أعمالهم كلها. ويبدو لي أن مثل هؤلاء لا يتصرفون بضمير صالح، إذ لا يعقدون اجتماعات شرعية مطابقة لوصية الرب [227].]

[لأنه (المسيح) واحد مع الآب، هكذا أنتم لا تأتوا عملاً بمعزل عن الأسقف والقساوسة... بل اعملوا معكم حسب الشركة، وهي صلاة واحدة. طلبية واحدة، فكر واحد، رجاء واحد في المحبة ويفرح بلا عيب. هذا هو يسوع المسيح لا يفضله شيء. اجتمعوا في هيكل واحد ومذبح واحد في يسوع المسيح الوحيد [228].]

في الخضوع لهم تحقيق للوحدة معاً في المسيح الواحد، وتمتّع بالحياة المقدسة في الرب.
[ينبغي عليكم... أن تطيعوا الأسقف ولقيف القساوسة، حتى تتقدسوا في جميع الأمور.]
[إن كنت أنا نفسي في زمن قصير قد ارتبطت بأسقفكم برباط روحي لا جسدي، فكم أنتم مباركون، فأنتم المتحدون معه مثل اتحاد الكنيسة بالمسيح، ومثل اتحاد المسيح بالآب، حتى يتألف الكل في وحدة [229].]

[ثابروا على الاتحاد بإلهنا يسوع المسيح وبالأسقف وبوصايا الرسل... من يصنع عملاً بدون الأسقف والقساوسة والشمامسة فضميره غير نقي [230].]

الوحدة والخضوع للأسقف هما أيقونة للوحدة والخضوع لله أبي ربنا يسوع أسقف الجميع.

[لا تستهينوا بحدائث أسقفكم، بل أدوا له كل احترام من أجل سلطان الله الآب. وإنّي أعرف أن قساوستكم القديسين لم يستخفوا به بالرغم من حداثة سنه كما يبدو عليه، بل كأناس واعين في الله أظهروا له الخضوع، ليس له، بل لأبي يسوع المسيح أسقف الجميع [231].]

الوحدة مع الأسقف هي صورة حيّة عن الوحدة مع السيّد المسيح:
[كل من ينظر الأسقف صامتاً، عليه أن يوقره، لأن رب البيت أرسله، ليدبر بيته؛ علينا أن نقبله كما نقبل من أرسله. ولذلك علينا أن نعتبر الأسقف كما نعتبر الرب نفسه [232].]
[عندما تطيعون أسقفكم طاعتكم ليسوع المسيح يصير هذا برهاناً على أنكم لا تعيشون حسب العالم، بل بحسب يسوع المسيح الذي مات لأجلكم [233].]

الأسقف مثال الآب:

[على الجميع أن يحترموا الأسقف أيضاً احترامهم ليسوع المسيح، والأسقف مثال للآب [234].]
الخضوع ليس خنوعاً ولا ضعفاً ولا استخفافاً بالشعب، بل علامة الوحدة؛ مقدّمًا خضوع السيّد المسيح الواحد في أبيه والمساوي له في الجوهر مثلاً.

[اخضعوا للأسقف، وليخضع بعضكم للبعض الآخر، كما أن يسوع المسيح كان خاضعاً لأبيه [235].]
يطلب الجميع باحترام الشماسة احترامهم ليسوع المسيح [236]. إذ كان يقول: [لازموا الأسقف يلازمكم الله].
يدعو الشماسة شركاءه أو رفقاءه في الخدمة.

أوضح التزام الأسقف الذي يكرّمه الشعب:

[حافظ على مركزك بكل عناية... وابذل جهدك في سبيل الوحدة التي لا شيء أفضل منها. ساعد الجميع كما يساعدك الله... اسهر بروح لا يعرف الكسل [237].]

الأسقف والإفخارستيا

[لا تشتركوا إلا في إفخارستيا واحدة، لأنه ليس لربنا سوى جسد واحد وكأس واحد توحدنا بدمه، ومذبح واحد، وأسقف واحد مع القساوسة رفاقي في الخدمة، وهكذا تتممون في كل شيء مشيئة الله [238].]
[لا يفعل أحد منكم شيئاً يخص الكنيسة دون إرادة الأسقف. الإفخارستيا هي السر الذي يتممه الأسقف أو من ينتدبه. لا يجوز أن تمنح المعمودية ولا تقام وليمة الأغابي بدون الأسقف [239].]

الزواج

طلب أن يكون الاتحاد في الزيجة بموافقة الأسقف حتى يكون الزواج حسب الرب، يحمل رمز الحب بين السيّد المسيح وكنيستته العروس [240].

البتولية

[البتولية ليست احتقاراً للزيجة... ولا نلمح هذا الاستعلاء، لأن تطلّعه بين الرجل والمرأة كعلاقة المسيح بالكنيسة [241].]

الصمت

[من امتلك الحق، يحدثه يسوع، ويستطيع أن يصغي حتى إلى صمته (صمت السيّد المسيح)، فيكتمل ويعمل بكلمته وصمته (صمت المؤمن المدرك لصمت السيّد المسيح) [242].]

القديس بوليكاربوس

أسقف سميرنا

St. Polycarp of Smyrna

من أهم الشخصيات الكنسية في ولاية آسيا الصغرى في النصف الأول من القرن الثاني^[243]، استحق لقب "معلم آسيا، وأب المسيحيين، ومحطم الآلهة"^[244].

كما نرى في رسالته ووقائع استشهاده هو إنسان وقور، ارتعب الجند من هيئته ووداعته وبشاشته عندما أرادوا القبض عليه. لم يخف عذابات الموت، وكان قلبه متسعاً بالحب نحو الغير، يصلي لأجلهم في لحظات استشهاده. لا نعرف شيئاً عن نشأته، إنما حوكم حوالي سنة ١٥٥م وكان عمره حوالي ٨٦ عاماً، لذا فقد ولد حوالي سنة ٦٩م، وتعمد في صباه.

يروى عنه كلارك C. P. S. Clarke أن سيّدة تقيّة تدعى كالستو Callisto اشترته بناءً على رؤيا، وأودعته منزلها، وعندما نما جعلته مديراً لممتلكاتها. سافرت لأمر ما وسلمت مخازنها له، فالتفت حوله الأيتام والأرامل والفقراء، فكان يعطيهم بسخاء. وإذ رجعت السيّدة أخبرها العبد زميله بما حدث، لكن إذ فتحت مخازنها وجدتها مملوءة كما كانت. أمرت السيّدة بعقاب العبد الزميل لكن بوليكاربوس تشفع فيه وأخبرها بحقيقة الأمر، فدهشت كالستو من عمل الله، وكتبت لبوليكاربوس وصيحتها أن يرث كل ما تملكه بعد وفاتها، وأما هو فلم يشغله هذا الأمر.

يرى البعض أن بوكوليس Bucolus أسقف سميرنا سامه شماساً، فشهد للمخلص بالكلام كما بحياتهم، وكان يواجه الأمم واليهود والهرطقة، فسامه كاهناً وهو صغير السن، وقد قال عنه الأسقف أنه مستحق أن يكون مشيراً ومشاركاً له في التعليم.

ويرى آخرون أنه تتلمذ على يدي القديس يوحنا الحبيب، وقد تعرّف على عدد ممّن عيّنهم الرب، وربّما قام القديس يوحنا نفسه بسيامته أسقفاً على سميرنا (أزمير).

القديس بوليكاربوس أسقف سميرنا

قال عنه تلميذه القديس إيريناؤس: [وأما بوليكاربوس ليس فقط قد تعلم بواسطة الرسل، وتحدثت مع كثيرين ممّن شاهدوا المسيح، بل وأيضاً تعلم بواسطة الرسل في آسيا، وأقيم أسقفاً في سميرنا، هذا الذي رأيته في صغري^[245]]. ويقول العلامة تريليان إن القديس يوحنا الحبيب هو الذي أقامه أسقفاً، قبل نفيه إلى بطمس.

قيل أنه هو ملاك كنيسة سميرنا الله أشار إليه في سفر الرؤيا (رؤ ٢ : ٨)، وهو الوحيد من بين الأساقفة السبعة الذي وجدته باراً، غنياً في الإيمان، فقيراً في ماديّاته، مقاوماً للمجدّفين، يُنتظر دخوله في ضيق.

قال عنه القديس إيريناؤس: [أنه إلى الآن لم يزل ثابتاً في مخيلتي نوع الاحتشام والرصانة الذي كان يتّصف بهما القديس بوليكاربوس مع احترام هيئته ووقار طلّعه وقداسته سيرته، وتلك الإرشادات الإلهية التي كان يعلم بها رعيته. وبأبلغ من ذلك، كأني أسمع ألفاظه التي كان ينطق بها عن الأحاديث التي تمّت بينه وبين القديس يوحنا الإنجيلي وغيره من القديسين الذين شاهدوا يسوع المسيح على الأرض، وتردّدوا معه، وعن الحقائق التي تسلّمها وتعلمها منهم].

سيم أسقفاً وهو في حوالي الثلاثين من عمره.

القديسان بوليكاربوس وأغناطيوس

ارتبط اسم القديس بوليكاربوس بالقديس أغناطيوس، فقد توفّف الأخير في سмирنا وهو في طريقه إلى روما للاستشهاد. استقبله أسقف سмирنا بتكريم لائق به كعملم عظيم ومعترف في طريقه إلى الاستشهاد، وقد لحقه بعد حوالي ٤٠ عامًا مقدّمًا حياته ذبيحة حب بالاستشهاد.

اهتم القديس بوليكاربوس برسائل القديس أغناطيوس، فجمعها وأرفقها بخطابٍ منه. عندما بلغ القديس أغناطيوس تراوس بعث برسالةٍ إلى القديس بوليكاربوس تكشف عن شخصيّة الأخير: [أرحب بفرح بمشاعرك وأفكارك الثابتة في الله كصخرة لا تتزعزع، لذلك مجّدتُ الرب بلا حدود لأنّه أهلني لرؤية وجهك الذي بلا عيب، وأرجو أن أتمتع به في الله ^[246]]. وبالفعل واجه القديس الاستشهاد كصخرة لا تتزعزع!

بوليكاربوس والهراطقة

قام القديس بوليكاربوس الهراطقة، خاصة مرقّيون، ويشهد عنه القديس إيريناؤس أنه ردّ كثيرين ممّن انصرفوا وراء الهراطقة (أتباع فالنتينوس وأتباع مرقّيون) إلى الكنيسة الكاثوليكيّة (الجامعة) ^[247].

التقى القديس بوليكاربوس بمرقّيون، فسأله الأخير: "أتعرفنا؟" أجابه: "أعرفك، إنك بكر الشيطان". ذهب مرقّيون إلى روما سنة ١٤٠م متخفيًا وبدأ ينشر بدعته، والتف حوله عدد من المسيحيين، فطردته الكنيسة، وفي سنة ١٥٤م إذ كان القديس بوليكاربوس هناك ردّ كثيرين من أتباع مرقّيون ^[248]. ندم مرقّيون على ما فعله وارتضى الخضوع للكنيسة، لكنّه مات قبل أن تتم عودته.

القديس بوليكاربوس الشهيد

تقدّم لنا رسالة كنيسة سмирنا (عام ١٥٦م) إلى المسيحيين في فيلوميليون *Philomelion* بفيريجيا العظمى تفصيلًا عن استشهاد القديس بوليكاربوس الذي تم بعد فترة قصيرة من عودته من روما. وتعتبر هذه الرسالة أقدم وثيقة عن استشهاد شخص وأول عمل من "أعمال الشهداء" *acta martyrum* وإن كانت لا تُصنف ضمن أعمال الشهداء، وإنّما ضمن الرسائل. يوقع على الوثيقة شخص يدعى مرقّيون، كتبها بعد استشهاد القديس بفترة وجيزة ^[249]. تكشف لنا الوثيقة عن موقف المؤمن من الاستشهاد والشهداء.

أضيف إلى هذه الوثيقة ملاحظات كُتبت في وقت متأخر، تقدّم لنا انطباعًا رائعًا عن سموّ شخصيّة بوليكاربوس. وقد جاءت رواية استشهاديه في اختصارٍ هكذا ^[250]:

إذ شرع مرقس أورليوس في اضطهاد المسيحيين صب والي آسيا جامات غضبه عليهم، واحتمل مسيحيو سмирنا الكثير. قرر الوثنيون القبض على الأسقف، وتحت ضغط الشعب اضطر إلى الاختفاء. أخيرًا عرفوا الموضع، وجاء الجند يقبضون عليه.

طلب من الجند أن يمهله ساعة واحدة ليصلّي. وقد تعجبوا من هيبته ووداعته وبشاشته وعذوبة حديثه، حتى قال أحدهم: "لماذا هذا الاجتهاد البليغ في طلب موت هذا الشيخ الوقور؟"

حينما طلب من الوالي ستاثيوس كوادراتوس *Staius Quadratus* أن يحلف بحياة قيصر ويلعن المسيح فيطلقه أجابه: [لقد مضت سنة وثمانون عامًا أخدم فيها المسيح، وشرًا لم يفعل معي قط، بل أقبل منه كل يوم نعمًا جديدة، فكيف أجدف على ملكي الذي يخلصني؟]

وحينما هدّده بالحرق وطرحه للوحوش، قال: [إنّي لا أخاف النار التي تحرق الجسد، بل تلك النار الدائمة التي تحرق النفس. وأما ما توعدتني به من أنك تطرحني للوحوش المفترسة، فهذا أيضًا لا أبالي به. أحضر الوحوش، وأضرم النار، فها أنا مستعدّ للحريق والافتراس].

وحينما حاول الجند تسميره على خشبة حتى لا يتحرك من شدة عذابات النار، قال لهم: [اتركوني هكذا، فإنّ ذلك الذي وهبني قوّة لكي احتمل شدة حريق النار، هو نفسه سيجعلني ألبث فيها بهدوء دون حاجة إلى مساميركم].

أوتقوا يديه وراء ظهره واضعين إياه على الحطب، كما لو كان ذبيحة على مذبح، أما هو فصلى للرب، شاكرًا إياه أنه سمح له أن يموت شهيدًا، وأن يشركه في شرب كأس الآم الابن الوحيد.

أوردت هذه الوثيقة أول شهادة عن تقدير الكنيسة لرفات الشهداء، إذ جاء فيها:

[أخذنا رفاتة الباقيّة، الثمينة أكثر من الحجارّة الكريمة، والأسمى من الذهب، وأودعناها في مكانٍ لائق. ليسمح الرب لنا - قدر المستطاع - أن نجتمع بالفرح والحبور لنحتفل باستشهاده - يوم ميلاده (18: 2).]

هكذا تطّعت الكنيسة إلى الموت، خاصة الاستشهاد، كيوم ميلاد المؤمن، يستحق أن يُعيد له... ربّما لهذا السبب كان القديس يوحنا الذهبي الفم يقاوم فكرة الاحتفال بأعياد ميلاد الأشخاص متطلّعا إلى عيد ميلادنا الحقيقي هو يوم خروجنا غاليين ومنتصرين من هذا العالم لنلتقي مع مسيحننا وجها لوجه.

تحدّثت الوثيقة التي نشير إليها هنا إلى تكريم الشهداء:

[نسجد له، لأنّه ابن الله، ونحب الشهداء، لأنهم تلاميذ الرب يقتدون به، يستحقون ذلك من أجل محبتهم الفائقة لملكهم ومعلمهم (17: 3).]

لم يبدأ الاحتفال بالشهداء بواسطة أحبائهم وعائلاتهم كعلاقات شخصيّة تمس الشهيد بهم، وإنّما منذ البداية قامت الكنيسة ككل بالاحتفال بفرح وسرور، كعمل كنسي مفرح يمجّد نعمة الله العاملة في حياة الكنيسة. اعتمد بعض الدارسين على ما ورد في وقائع استشهاد بوليكاربوس "لذكرى الشهداء الأولين^[251]"، بأن عيد الشهيد بوليكاربوس الذي بدأ عام ١٥٦م في سмирنا حسبته المؤمنون "عيد الكنيسة^[252]" أو عيد الشهداء.

أما سيرة بوليكاربوس *Vita Polycarbi* التي تُنسب إلى الكاهن بيونيوس *Pionios* فإنّها من نتاج القرن الرابع/الخامس، وقد نُسبت خطأ إلى بيونيوس الشهيد الذي نال إكليله سنة ٢٥٠م في سмирنا بينما كان يحتفل بذكرى بوليكاربوس. وتحتصر خدمات هذا القديس الشهيد التاريخيّة في أنّه حفظ لنا نص الرسالة في استشهاد بوليكاربوس المشار إليها أعلاه لا سيرة بوليكاربوس^[253].

يتطلّع القديس بوليكاربوس إلى الاستشهاد كهبة إلهيّة، إذ نراه يشكر الآب بفرح من أجل هذه العطية وغيرها، منبّئا شكره بكلمة "أمين" التي استخدمت في الليتورجيا المسيحيّة^[254].

كاثوليكيّة الكنيسة

عُرّف تعبير "كاثوليكيّة" أولاً في كتابات القديس أغناطيوس الأنطاكي، معلناً: [حيث يوجد يسوع المسيح توجد الكنيسة الكاثوليكيّة]. وقد ورد هذا التعبير ثلاث مرّات في رسالة سмирنا التي وصفت استشهاد القديس بوليكاربوس، مرتان عُنِي بها "الجامعة"، أمّا المرّة الثالثة قرب نهاية الرسالة فجاءت لتحمل معنيين، جامعيّة الكنيسة وأرثوذكسيّة إيمانها. لقد ميزت الرسالة بين جسد الكنيسة الجامعة تحت قيادة قادتها الأرثوذكس وبين الجماعات المنشقة تحت قيادة الهرطقة^[255].

رجل صلاة وعبادة

تكشف الوثيقة الخاصة باستشهاده عن شخصيّة القديس بوليكاربوس كرجل صلاة، فعند القبض عليه طلب من الجند إمهاله وقتاً للصلاة، وقبيل استشهاده صار يصلي. لقد أدرك أن الصلاة هي مصدر القوّة.

أعماله

الرسالة إلى أهل فيلبّي

يخبرنا القديس إيريناؤس^[256] أن القديس بوليكاربوس بعث عدة رسائل إلى الكنائس المسيحيّة المجاورة وإلى بعض الأساقفة زملائه. لم يصلنا من هذه الرسائل سوى رسالته إلى أهل فيلبّي.

طلب أهل فيلبّي من القديس بوليكاربوس نسخة من رسائل القديس أغناطيوس، فأرسلها ومعها رسالة وجهها إليهم، هذه الرسالة مدعّمة بحجج قويّة على صحتها، شهد بذلك القديس إيريناؤس^[257]، وكثير من الآباء.

مميزاتها

تكشف لنا عن حالة الكنيسة البكر في أوروبا، والتي كانت عزيزة على القديس بولس الرسول. تمتاز بأنها غزيرة في جهة الحكمة العملية، مقتبسًا الكثير عن نصوص الكتاب المقدس. إنها تعكس لنا روح القديس يوحنا في وداعته كالحمل وملاحم الهدوء. فقد كان محبًا كما كان يوحنا، وقد انعكس صوت "ابن الرعد" على بوليكاربوس في توبيخاته.

تجسد الكلمة وموته

[كل روح لا يعترف ببسوع المسيح أنه قد جاء في الجسد هو ضد المسيح؛ ومن لا يعترف بشهادة الصليب هو من الشيطان؛ ومن يحرف كلمات الرب لأجل شهواته قائلًا إنه ليس قيامة ولا دينونة، فهو بكر إبليس (7: 1)].
الإقتداء بالسيد المسيح والحياة معه

[إنركز أنظارنا دومًا على رجائنا وعربون برنا، يسوع المسيح، الذي حمل خطايانا في جسده على الخشبة، والذي لم يوجد في فمه غش (١ بط ٢ : ٢٤ ، ٢٢)، والذي لأجلنا احتمل كل شيء لكي نحيا فيه. فلنتشبه باحتماله. (8: 1-2)]
[اتبعوا مثال الرب، ثابتين غير متزعزعين في الإيمان، محبين الإخوة. (10: 1)]

الاهتمام بخلص الآخرين في وداعة وحب

إذ يتحدث عن القس فالنر وزوجته اللذين بسبب الطمع انحرقا عن الإيمان، قائلًا: [إني حزين جدًا يا إخوة من أجل فالنر ومن أجل زوجته أيضًا، يا ليت الرب يمنحهما توبة صادقة! عالجا هذا الأمر بالذات باعتدال، ولا تحسبوهما أعداء، بل حاولوا إعادتهما كعضوين مريضين تانهين، ومتى عادا يصبح جسدهم كاملاً، إذا فعلتم هذا فإنكم تبنون أنفسكم. (11: 4)]
الجانب التنظيمي

[ينبغي أن يكون القسوس عطوفين ورحماء على الجميع، فيردون الذين ضلوا، ويزورون المرضى، ولا يهملون الأرملة واليتيم والفقير، بل دائماً يكونون "معتنين بأمور حسنة قدام الرب والناس" (راجع روم ١٢ : ١٧ ؛ ٢ كو ٨ : ٢١)، ممتنعين عن كل غضب، ومحاباة الناس، أو إصدار حكم ظالم، هاربيين من كل محبة للمال، غير متعجلين في الحكم ضد أحد، غير قاسين في الحكم، عالمين إننا جميعاً مدينون بالخطية. (6: 1)]
الكنيسة والدولة

[صلوا لأجل الملوك (والرؤساء) (١ تي ٢ : ٢)، والسلاطين والأمراء، صلوا من أجل كل الذين يضطهدونكم ويبغضونكم، ومن أجل أعداء الصليب، حتى تكون ثمرتكم واضحة للجميع، وتكونوا كاملين فيه (المسيح). (فصل 12)]

رسالة برناباس

The Epistle of Bernabas

رسالة برناباس هي مقال لاهوتي أو عظة، لها مظهر الرسالة، وإن كان ينقصها وجود تحية افتتاحية وخاتمة، ولا تحوي أموراً شخصية. لم يذكر واضعها اسمه، إنما ذكر هدفها وهو تعليم "المعرفة *gnosis* الكاملة والإيمان".

واضعها

اقتبس القديس إكليمنضس السكندري^[258] الكثير منها ونسبها إلى الرسول برنابا. كذلك اعتبرها العلامة أوريجينوس^[259] من أسفار الكتاب المقدس، أمّا يوسابيوس فصنفها من بين الكتب المختلفة، ثم جاء القديس جيروم واعتبرها من كتب الأبوكريفا، وإن كان الاثنان - يوسابيوس وجيروم - ينسبانها إلى برنابا رفيق بولس الرسول. وجّه الكاتب رسالته هذه إلى رعية مسيحية مجهولة، سبق أن بشر فيها بالإنجيل، ويدعو هؤلاء المسيحيين بالأولاد والبنات، أبناء الفرح، أبناء المحبة، إخوة الخ^[260]. ويرى أوريجينوس إنها رسالة جامعة كتبت للكنيسة المسيحية في العالم.

أقسامها

تضم الرسالة قسمين رئيسيين: قسم نظري، والآخر عملي.

القسم النظري (١-١٧): وهو قسم عقدي، هدفه كما جاء في الفصل الأول (١: ٥) [أن تصير معرفتكم كاملة جنباً إلى جنب مع إيمانكم]. وقد أراد الكاتب بهذا أن يكشف للقارئ عن أهمية العهد القديم ومعنى إعلانه، مُظهراً أن اليهود قد أساءوا فهم الشريعة لأنهم فسروها حرفياً. بعد رفضه للتفسير الحرفي قَدَمَ وجهة نظره: المعنى الروحي الأصيل، أي الرمزي.

القسم العملي (١٨-٢١): يهتم بالجانب السلوكي الأخلاقي، على نمط يشبه ما جاء بالديداكية، تستخدم ما يسمى بالطريقتين: طريق الفضيلة أو الرذيلة؛ النور أو الظلمة.

الأفكار اللاهوتية

السيد المسيح

[لو لم يصر إنساناً كيف كان يمكن للبشر أن يعاينوه لكي يخلصوا، ناظرين أنه بلا قدرة عندما يتفرسون في الشمس ويحدقون إلى أشعتها بصرهم؟!] (فصل 5:5)
جاء التجسد بدافعين:

[الأول: جاء ابن الله في الجسد للسبب التالي: لكي يملأ قياس (كأس) إثم أولئك الذين اضطهدوا أنبياءه حتى الموت؛ لهذا السبب احتمل الألم.

الثاني: كان يريد أن يتألم لأجلنا.] (فصل 5: 11-13)

الشريعة الموسوية

لم يقصد الله حفظها حرفياً، إنما لكي تفسر رمزياً، وأن ملاكاً شريراً قد ضلل اليهود بقبولهم التفسير الحرفي.

1. من جهة الختان:

[يقول في موضع آخر، أنه ختن قلوبنا... يقول الرب: "اختلفوا قلوبكم" (راجع إر ٤: ٤)... هكذا ختن حتى آذاننا لكي نسمع صوته ونؤمن... الختان ليس ختان الجسد، لقد تجاوزه، لأن ملاك الشر قد ضلهم. إليكم ما يقوله الرب إليكم: "لا تزرعوا في الأشواك، اختلفوا للرب" (إر ٤: ٣-٤). ماذا يقول أيضاً؟ "اختلفوا غرلة قلوبكم ولا تصلبوا رقابكم" (ثت ١٠: ١٦). هوذا يقول الرب: "كل الأمم غُلف، وكل بيت إسرائيل غُلف القلوب" (إر ٩: ٢٦).

المصريون أيضاً يستخدمون الختان.

تعلّموا أيها الأبناء الأحياء واعرفوا أن إبراهيم الذي طبّق الختان أول الجميع طبقه روحياً، واضعاً المسيح نصب عينيه، وقد حصل على كل التعليم بأحرف ثلاثة. يقول الكتاب حول هذا الموضوع أن إبراهيم ختن رجال أهل بيته وعددهم ثمانية عشر وثلاثمائة (تك ١٧: ٢٣؛ ١٤: ١٤). لاحظ أن العدد ١٨ جاء أولاً ثم رقم ٣٠٠. العدد ١٠ يكتب بحرف "I" وعدد ٨ "H". فالعددان "IH" يعنيان يسوع (يسوس) المسيح. والحرف "I" هو شكل الصليب ويعني نعمة، فالرقم ٣٠٠ الذي يُعبر عنه بالحرف "T" مضافاً إليه الحرفان الأولان "IHT" يدل على (يسوع) المسيح مع الصليب. [(فصل 9: 1-9)

2. من جهة الصليب:

١. أشار إلى الصليب عند حديثه عن ختان إبراهيم، إذ ختن عبده الـ ٣١٨؛ وكما لاحظنا أن الرقم يشير إلى "صليب يسوع".

ب. أشار إلى مجيء المسيح المتألم خلال تيس عزازيل المذكور في سفر اللاويين (١٦: ٧-١٠)، خاتماً حديثه عنه بالقول على لسان السيد المسيح: [من أراد أن يرى ملكوتي يجب عليه أن يتألم ويتعذب ليحصل عليّ]. (فصل 7: 11)

ج. أشار موسى إلى الصليب ببسط يديه (فصل 12: 3)، وبإقامة الحية النحاسية (فصل 12: 5-7).

3. من جهة الهيكل:

[إني أقول لكم أيضاً عن الهيكل، إن هؤلاء الضالين الأشقياء انحصر رجاؤهم في بناء الهيكل، وليس بالله صانعهم. لقد فعلوا كما يفعل الوثنيون عندما حصروا الله في الهيكل كالصنم، لكنّه سوف يُهدم الهيكل. تعلموا: "من قاس السموات بالشبر وكال بالكيل (تراب) الأرض؟ ألسنت أنا يقول الرب؟ السموات كرسى والأرض موطنى قديمي. أين البيت الذي تبنون لي؟ وأين مكان راحتي؟" (راجع إش ٤٠: ٤٠؛ ١٢: ٦٦؛ ١). ... قبل أن يكون لنا الإيمان بالرب كان داخلنا حقيراً فاسداً كهيكل مبني بأيدي بشرية. كان هذا الهيكل مليئاً بعبادة الأصنام، ومسكناً للشيطان عندما كنا نعمل ما يخالف الرب. انتبهوا حتى يأتي البناء عظيمًا، لأنه يُبنى باسم الرب... يُبنى بعد نوالنا غفران الخطايا ووضع رجائنا في الرب وتجديدنا، فُعاد بناؤنا، ويسكن الرب في داخلنا. كيف يتم ذلك؟ تنتبأ فينا كلمته - وهي غرض إيماننا ودعوة موعده وحكمة وصاياه وتعاليمه، وتفتح لنا باب الهيكل، أي تفتح فمنا بالصلاة، نحن الذين كنا مستعدين للموت، وبهينا مغفرة الخطايا، ويدخل بنا إلى الهيكل غير الفاسد. من أراد أن يخلص لا يتطلع إلى الإنسان وإنما إلى الساكن فيه... هذا ما يعنيه الهيكل الروحي الذي بناه الله (فصل 16)].

4. من جهة الذبائح والتقدمات:

[قال لهم: لأنني لم أكل آباءكم ولا أوصيتهم يوم أخرجتهم من أرض مصر من جهة محرقة وذبيحة، بل إنما أوصيتهم بهذا الأمر، قائلاً: "لا يفكرن أحد في سوء على قريبه في قلوبكم، ولا تحبوا يمين الزور" (إر ٧: ٢٢، ٢٣؛ زك ٨: ١٧)... أنه يقول: "الذبيحة لله روح منسحق" (مز ٥١: ١٧)؛ القلب المنسحق عطر للرب الذي جبله. (فصل 12)

5. تحريم بعض الأطعمة

[لم يكن عدم الأكل أمراً إلهياً، لأن موسى تكلم عن الأكل بالروح وبطريقة رمزية. تكلم أولاً عن الخنزير، وقد عني بذلك ألا يكون لك اتصال بمن كانت أخلاقهم كالخنزير، إي أولئك الذين ينسون الرب وهم في حياة التعم يتقبلون، ولا يذكرونه إلا عندما يشعرون بالاحتياج، وذلك كالخنازير التي لا تعرف أصحابها إلا عندما يعرضها الجوع، فتصرخ لتحصل على الأكل.

"لا تأكل النسر والأثوق والعقاب والغراب" (لا ١١: ١٣)، أي لا تكون لك علاقة بمن لا يعرفون كيف يكسبون عيشهم إلا بالقتل الشرير وافتراس لحوم الآخرين، فتراهم يسلكون مسلك البراءة وما هم بأبرياء. أنه يتربصون بفريستهم لينقضوا عليها...

لا يكون لك علاقة بالكفرة (منكري الإيمان) الذين هم الآن أموات ويشبهون الأسماك الملونة التي لا تسبح كبقية الأسماك، بل تستقر في الأعماق منتظرة فريستها لتتقض عليها (لا ١١: ٩-١١). [(فصل 10)

العماد

[يجدنا بغفران خطايانا، ليغيرنا إلى طابع آخر، فتصير لنا النفس التي للأطفال، وكأنه يخلقنا ثانية. يتحدث الكتاب المقدس عنّا عندما يقدم لنا حديث الأب مع الابن: "لنخلق الإنسان على صورتنا ومثالنا." (فصل 6: 11-12)]

يوم الرب

[قيل: "قدسوا يوم السبت للرب بأيدٍ نظيفة وقلوبٍ نقيّة" (راجع خر ٢٠: ٨؛ مز ٢٤: ٤)... نخطئ إن اعتقدنا إننا نستطيع أن نقدر اليوم الذي قدسه الرب دون أن نكون أنقياء القلوب. إننا لا نستطيع أن نقدر اليوم، ولا أن نرتاح فيه بكرامة k إلا إذا كنا جديرين بتبرير نفوسنا k بوضع قدمنا على طريق الوعد، بعد تدميرنا لكل إثم، وتقديسنا بيسوع، عندئذ نستطيع أن نقدر السبت بتقديسنا أولاً... لذلك نعيد اليوم الثامن بفرح؛ اليوم الذي قام فيه المسيح من الأموات وظهر وصعد إلى السموات.] (فصل 15)

الألفية Chiloi

واضع الرسالة من أتباع الألفية Chiliasm؛ اعتبر سنة أيام الخلق هي سنة آلاف سنة، لأن ألف سنة كيوم واحد عند الرب (مز ٩٠: ٤). وخلص إلى القول بأنه في هذه الآلاف الستة تكتمل كل الأشياء بعد أن يتحطم هذا الزمن الشرير وتُعطى الفرصة كاملة للخطاة للتوبة، عندئذ يأتي ابن الله ليدين الأشرار ويغير الشمس والقمر والنجوم ويرتاح في اليوم السابع. (فصل 15: 4-5)

بابياس

أسقف هيرابوليس

Papias of Herapolis

تعرفنا على بابياس (وُلد ما بين ٦٠، ٧٠م) وكتابه وأفكاره غالبًا من خلال كتابات القديس إيريناؤس ويوسابيوس القيصري [261]. يرى الأول أن بابياس تلميذ القديس يوحنا الحبيب، ورفيق القديس بوليكاربوس أسقف أنطاكية. صار أسقفًا على هيرابوليس في فرنجية آسيا الصغرى.

تفسير كلام الرب Logion Kyriakon Exegesis

يذكر القديس إيريناؤس المعاصر له أنه وضع خمسة كتب [262]، وقد مدح هذا العمل جدًا، إذ تطلع إليه أنه على اتصال بأزمة الرسل [263]. وقد وُجد هذا العمل حتى القرن الرابع عشر ما لم يكن بعد ذلك، لكنه لم يُعثر بعد على نسخة منه [264].

احتكامًا إلى ما ورد في رسالة الإنجيلي يوحنا: "الذي كان من البدء، الذي سمعناه، الذي رأيناه بعيوننا... نخبركم به" في نهاية القرن الأول الميلادي، حدث صدى له لدى كثيرين من الذين عاشوا بعد ذلك، وشاهدوا بأعينهم، وسمعوا بأذانهم، ليسجلوا للكنيسة ما استطاعوا تسجيله [265]؛ من بينهم بابياس تلميذ القديس يوحنا الحبيب الذي عمد إلى جمع التقليد الذي تلقاه من أفواه من وعى أحاديث الرسل والتلاميذ. فوضع كتابه هذا ذا الخمسة مقالات في "تفسير كلام الرب Exposition of Oracles of the Lord"، كتبه مؤخرًا في نهاية حياتهم ما بين عام ١٣٠، ٤٠م [266].

اهتمامه بالتقليد

يقول [267] Richardson: لقد قامت الكرازة المسيحية على العهد القديم والتقليد الحيّ ليسوع، هذا الذي تناقل فمًا من فم، ففي الكنيسة الأولى كان الشعور بالشهادة الشخصية قويًا للغاية. فبابياس مثلاً سجل لنا تفضيله "الصوت الحيّ" عن الكتب. [

مع ما لهذا العمل من عيوب لكنه يحمل قيمة خاصة من جهة اهتمامه بالتقليد بما يحويه من تعليم الرسل الشفوي. فقد لخص بابياس عمله هذا في المقدمة، قائلاً:

[لا أتردّد أن أضيف ما تعلمته وما أتذكره جيدًا من تفاسير تسلمتها من الشيوخ، لأني واثق من صحته تمامًا. أنا لم أفرح، كمعظم الناس، بالذين قالوا أشياء كثيرة، بل بمن يعلمون الحق؛ ولا أفرح بمن يرددون وصايا الآخرين، بل بأولئك الذين أعادوا ما أعطاه الرب للإيمان واستقوا من الحق نفسه. وإذا جاءني أحد ممن تبع القسوس نظرت في كلام الشيوخ مما قاله اندراوس أو بطرس أو فيلبس أو توما أو يعقوب أو يوحنا أو متى أو أحد تلاميذ الرب، أو أرسطون أو يوحنا الشيخ. فإنني ما ظننت أن ما يُستقى من الكتب يفيدني بقدر ما ينقله الصوت الحيّ الباقي [268].] هكذا يهتم بابياس بصوت التقليد الشفوي الحيّ الذي سلّم خلال تلاميذ الرب بكونه صوتًا إنجيليًا يعلن عن الحق.

ويلاحظ في هذا النص الآتي:

1. استخدم كلمة شيوخ هنا بالمعنى العام كقول Lightfoot ليشير إلى آباء الكنيسة في الجيل السابق له.
2. كرر اسم "يوحنا" مرتين، الأولى مع بطرس ويعقوب ومتى وبقية الرسل، والأخرى خارج دائرة الرسل ذكره بعد ارستيون Aristion؛ الأول القديس يوحنا الإنجيلي والثاني شخصية مشهورة، وقد وُجدت في أفسس مقبرتان باسم يوحنا حتى أيام يوسابيوس القيصري.

لم يتوخّ بابياس الدقّة، خاصة في أمرين:

أ. حسب القديس مرقس الإنجيلي مترجماً للقديس بطرس، وقد فُندَ قداسة البابا شنودة الثالث في كتابه "القديس الإنجيلي ناظر الإله مرقس" هذا الرأي.

ب. انتقد يوسابيوس القيصري على ما تحدّث به بابياس من قيام مُلك ألفي زمني بعد القيامة من الأموات، بصورة خياليّة متوهّمًا أن السيّد المسيح يعود إلى الأرض وفي مملكته توجد ١٠٠٠٠٠ كرمة كل كرمة فيها ١٠٠٠٠٠ غصن، وكل غصن به ١٠٠٠٠٠ عنقود، وكل عنقود يحوي ١٠٠٠٠٠ حبة من العنب، وكل حبة عصيرها يملأ ٢٥ مكيالاً من الخمر! صورة خياليّة سقط فيها خلال دفاعه عن المسيحيّة ضدّ اليهود، متخيلاً أن ما ورد في العصر المسياني من سلام وبركات إنّما هي أمور حرفيّة زمنيّة تتحقّق في مجيئه الثاني... وقد أخذ بعض الأباء هذه الفكرة عنه لا كعقيدة مدروسة وإنّما خلال أحاديثهم العابرة؛ من بينهم القديس أغسطينوس الذي تدارك الأمر فيما بعد ودرسه في جديّة بالروح الإنجيلي الكنسي وحسب من يعتنق هذه العقيدة إنّما يُحسب منحرفاً عن الإيمان.

كتاب الراعي

لهرماس

The Shepherd of Hermas

يُدرج كتاب الراعي لهرماس بين كتابات الآباء الرسولين، لكنه في الحقيقة ينتمي إلى الرؤى الأبوكريفا. هو كتاب رؤيوي قدّم الرؤى لهرماس خلال رمزين سماويين: الأول امرأة عجوز كشفت له الرؤى الأربعة الأولى والثاني ملاك التوبة ظهر في شكل راعٍ في الرؤية الخامسة قدّم له الوصايا والأمثال.

هرماس

جاء في القانون الموراتوري Muratorian Fragment on the Canon الذي يعود إلى القرن الثاني أن هرماس صاحب كتاب الراعي هو أخو بيوس الأول أسقف روما (١٤٠-١٥٠م)، وارتأى أوريجينوس^[269] أن صاحب هذا الكتاب هو هرماس المذكور في رومية ١٦: ١٤.

ما يقوله صاحب كتاب "الراعي" عن نفسه يصعب فيه التمييز بين ما هو رمز وما هو حقيقي. يقول عن نفسه أنه كان عبداً. بيع في روما إلى سيّدة رومانية تسمى روده Rhoda؛ فأحس في بادئ الأمر بعاطفة الأخوة من نحوها، ثم تطلّع إلى جمالها فاشتهى أن تكون له امرأة (رؤيا ١: ١). أطلقت سبيله، فاشتغل بالزراعة والتجارة، فصار غنياً. تزوّج من امرأة ثرثارة، وأغفل أمر عائلته، فانغمس أولاده في الشر (رؤيا ١: ٣)، وافترق بسببهم (رؤيا ١: ٢؛ ٢: ٣؛ ٣: ٦).

يصوّر نفسه أحياناً رجلاً فاضلاً غنياً بعيداً عن كل الشهوات الشريرة، بسيطاً مجانّباً للشر (رؤيا ١: ٢)، وأحياناً أخرى، كاذباً متكلمًا بالرياء (رؤيا ٣).

إن حدث اضطهاد، تمسك هو وزوجته بالإيمان، بينما أنكر أولاده الإيمان، وتحمس للتوبة، فوضع كتابه "الراعي" ليحث عن التوبة، مظهرًا أن نقاوة الكنيسة في خطر بسبب استفحال الخطيئة، وأن النهاية قد اقتربت.

ضياح أولاده لم يحطمه بل أثار فيه الرغبة في الكرازة مشتاقًا أن يراهم تائبين ومعهم كل نفس بشرية، وقد فرح بتوبة أهل بيته فعلاً (مثل ٧: ٤)، كما أعلن له الملاك أنه سيعيد إليه حاله الأول الذي كان عليه قبل دماره ودمار أولاده.

تاريخ كتابته

جاء في الرؤيا الثانية (٤: ٣) أن الكنيسة قد أمرته أن يُعد نسختين لما يراه، وأن يضع إحداهما تحت تصرف إكليمنضس ليرسلها إلى المدن التي في الخارج. هنا يوجد نوع من التناقض، إذ كيف يمكن أن يكون هرماس أخًا لبيوس أسقف روما الذي لم يجلس على كرسي روما قبل سنة ١٤٠م بينما كان إكليمنضس واضع الرسالة إلى كورنثوس أسقفًا من سنة ٩٠ إلى ١٠٠م؟ يعالج البعض هذا التناقض بالقول أن هذا العمل بدأ في زمن إكليمنضس وانتهى في عصر بيوس^[270].

نظرة الكنيسة الأولى لكتاب الراعي^[271]

توجد شهادات من القرن الثاني، إذ يستشهد به القديس إيريناؤس^[272] والقديس إكليمنضس السكندري^[273] والعلامة أوريجينوس^[274]، وينظرون إليه كسفر قانوني. ووُجد في المخطوطة الإسكندرانية للكتاب المقدس مع رسالة برناباس بعد الكتب المقدسة (ربما ككتاب كنسي هام).

يعترف العلامة أوريجينوس أنه يوجد في عصره من حظ من قدر الكتاب. ويجعله يوسابيوس في عداد الكتب المضادة للكتاب المقدس^[275]. وأما القديس أثناسيوس^[276] فمع اعتباره كتابًا نافعًا، إلا أنه يجعله من الكتب غير القانونية.

أما بالنسبة للغرب فقد اعتبره العلامة ترلتيان كتابًا يحبذ الزناة^[277]. ويقول القديس جيروم^[278] أن هذا الكتاب كان منسبًا في الغرب في القرن الرابع.

سماته

1. يمكننا القول بأن هرماس كان إنسانًا تقياً و متمسكاً بالإيمان، ثبت وسط الاضطهاد.
2. لم يكن هرماس مدرّباً في العقيدة، وإن كان حسن النية. نراه يخلط بين ابن الله والروح القدس (قابل المثل ٩: ١ بالمثل ٦: ٥).
3. لم يكن الكاتب أديباً، فقد جاءت لغته بسيطة وعامية؛ وبالنظر إلى طابعه النبوي نجد صعوبة إن لم نقل عدم إمكانية فهم بعض الأمور. يقتبس الكاتب من الكتاب المقدس من غير أن يورد آية بحرفيتها، كما يقتبس أيضاً من الكتب المنحولة ومن كتب المسيحيين والوثنيين على السواء، ومن اللاتينية والكتبة اللاتين. ويشتق مما في الكتاب من الكلمات والتعابير اللاتينية أنه كتب في بلاد تستعمل فيها اللغة اللاتينية بجانب اللغة اليونانية، ويجوز أن يكون قد كتب في روما. وبالنظر إلى العبرية التي فيه فقد يجوز أن يكون الكاتب من أصل عبراني.
4. ما أحبه آباء الكنيسة الأولى فيه ليس فكره اللاهوتي وإنما تعليمه السلوكي الأخلاقي وفهمه للحياة المسيحية^[279].

5. كتاب الراعي غزير المادة، جمّ الفائدة لمؤرخ الكنيسة في النصف الأول من القرن الثاني. فإننا نلتقي فيه بجميع طبقات المسيحيين، بالصالحين والأشرار. فهناك أساقفة وكهنة وشمامسة أتقياء أمناء، وهناك أيضاً كهنة مهملون طامعون وشمامسة أكلوا أموال الأرامل واليتامى. وفيه يبهر نور الشهداء الثابتين في الإيمان كما ينبو البصر عن الجاحدين المجذفين. وفيه المسيحي المخلص، والمرائي، والغني الذي لا يكثر بالفقراء، والمؤمن الحقيقي الذي يبذل بسخاء، وإهمال بعض المسيحيين وطمعهم وتمسكهم بحطام الدنيا. يعتبر هذا الكتاب أشبه بمراجعة كنيسة روما لنفسها أو فحصها ذاتياً^[280].

الخطوط العريضة لكتاب الراعي

- يحتوي كتاب الراعي ثلاث مجموعات: خمس رؤى، واثنيتي عشر وصية، وعشرة استعارات أو أمثال أو تشبيهات *similitudes*، غير أن واضع الكتاب يقدم تقسيماً آخر وهو:
1. القسم الأول يحوي الأربع رؤى الأولى التي أعلنتها الكنيسة له.
 2. القسم الثاني يبدأ بالرؤيا الخامسة حيث يقدم الراعي الوصايا والأمثال، وهو القسم الأطول والأهم.

الرؤى الخمس

تظهر الكنيسة في أربع رؤى متعاقبة:

في الرؤيا الأولى تظهر الكنيسة كامرأة عجوز ضعيفة جالسة على كرسي، تحضه على التوبة عن خطاياها وخطايا عائلته.

في الرؤيا الثانية تستعيد الكنيسة قوتها. رأى المرأة تنتصب على قدميها بوجه أكثر فتوة وإشراقاً، إلا أن جسدها وشعرها كانا جسد وشعر امرأة مسنة. إن هذا يشبه المثل الآتي: إنسان شيخ أعدهته همومه وأحزانه واستولى عليه اليأس، وكان ينتظر يومه الأخير تخلصاً من اليأس الذي استولى عليه، وفجأة سقطت عليه ثروة لم يكن يحلم بها، وبسبب هذه الثروة نسي ضعفه، وسرت فيه الحياة من جديد، وتجددت قواه التي أنهكتها الأشغال السابقة، فخرج من سريره فرحاً، ووقف على قدميه. كذلك أنت عندما تسمع إعلان المخلص لك. فقد تراعى بك وتحزن عليك، وعادت إليك القوة بعد أن طرحت الضعف جانباً، وتركزت في الإيمان...

في الرؤيا الثالثة ظهرت المرأة شابة فرحة وجميلة، كان شكلها رائعاً. كما أن إعلان الخير ينسي الرجل الحزين أحزانه وأتعبه الماضية، ولا يفكر إلا في البشارة الجديدة، فتعود إليه كل القوى التي تفعل الخير ويشعر بأن روحه قد عاد إليها الشباب بالفرح الذي انتابه. كذلك أنت، قد شعرت بأن الشبوبة قد عادت إلى نفسك لدى رؤيتك هذه الخيرات. إذا كنت قد رأيتها جالسة على مقعد فإنها أرادت أن تبرهن على رسوخ مركزها وثباته^[281].

يلاحظ في هذا التفسير الآتي:

1. عدم الفصل بين الحياة الشخصية وحياة الجماعة، أو بين حياة العضو وحياة الكنيسة. عندما يسقط الإنسان تبدو الكنيسة وكأنها امرأة مسنة لا تقوى على الوقوف؛ وحينما يقبل نعمة الله ووعده يتجدد شبابها. حياتنا متلاحمة معاً بكوننا جسد المسيح الواحد، ما نمارسه أو نفكر فيه إنما هو لحساب الجماعة كلها.
2. تركّز الرؤى على الرجاء أو اليأس، فالخطية تحطم نفس الإنسان وتدخل به إلى اليأس، فينهار رجاؤه وشبابه، مشتتاً الموت؛ أما نعمة الله، فتبعث الرجاء، وتجدد مثل النسر شبابيه.
3. المظهر الخارجي لا يكشف عن تمام الحقيقة، فالعجوز جالسة على مقعد والفتاة أيضاً، الأولى تجلس إذ هي عاجزة عن الحركة أو القيام بعمل ما، والثانية تجلس كمن يحكم، ثابتة في حياتها، صاحبة سلطان.
4. التحول من حالة الشبوبة إلى الشبوية إنما يعني أن المخلص يخلق أو يعيد خلقنا بالميلاد الجديد. فالحاجة لا إلى إصلاح جزئي بل إلى الحياة الجديدة.
5. يرى البعض^[282] أن التحول السريع من الشبوية إلى الشبوية في حياة المؤمن يعني أن الشر ليس متصلاً بعمق شديد كما نظن، وأن هذا الانطباع ينتبث بالأكثر في بقية الكتاب. فالمسيحي بالتوبة - المعمودية الثانية - يتجدد ذهنه يومياً فلا يشيخ، وإن كان قد شاخ يعود إلى الحياة الشابة من جديد!

في الرؤيا الثالثة تطل الكنيسة (السيدة الشابة) على هرماس لتريه برجاً عاليًا في طور البناء، فتظهر أن الكنيسة تصوير مثلي في الاهتمام بالقرب، غير أن كل حجر لا يصلح للبناء يُردل، هكذا كل خاطئ يُمنع من الشركة الحقيقية في الكنيسة ما لم يتب، خاصة وأن الوقت مقصر.

في الرؤيا الرابعة يظهر نتين قبيح مُرعب فوق رأسه أربعة ألوان: أسود وأحمر ناروي وذهبي وأبيض يرمز إلى الأخطار والاضطهادات المحدقة. لكنّه لا يؤدي المؤمن الثابت في إيمانه. ويظهر وراء النتين الكنيسة في هيئة عروس جميلة متوجّة رمز السعادة والتطويب للمؤمنين وضمان قبولهم في الكنيسة الخالدة المقبلة.

يقول: إبعد أن اجتزت النتين بثلاثين خطوة إذا بفتاة مزينة كأنها خارجة من عرس يوشحها البياض، وتتعل حذاءً أبيض، وتغطي رأسها حتى الجبين، وتلبس فوقه تاجاً، وكان شعرها أبيض... فغمرتني رؤيتها فرحاً، فصافحتني... وقالت: "ألم تلتق بشيء في طريقك؟" قلت: "نعم. لقد التقيت بنتين يمكنه أن يهدم مدينة، إلا أنني نجوت منه بقدرة الله ورحمته". فقالت: "إذا كنت قد نجوت، فلأنك ألقيت همومك على الله، وفتحت له قلبك، وأمنت أن لا خلاص لأي إنسان إلا بواسطة اسمه العظيم. لذلك أرسل الله ملاكه الموكل إليه أمر الحيوانات، المسمى ثاغري، ولجم فمه حتى لا يقضي عليك، لقد نجوت بإيمانك من نكبة عظيمة، فلم تتزعزع أمام وحش هائل كهذا. اذهب وفسّر لمختاري الله أعماله المجيدة، وقل لهم أن هذا الوحش هو صورة للأحزان المستقبلية العظيمة. استعدوا وتوبوا من أعماق قلوبكم... آمنوا بالمخلص أيها المؤمنون المتأرجحون...".

سألته عن الألوان الأربعة فوق رأس الحيوان، فأجابتي قائلة...

"الأسود هو العالم الذي تسكن فيه.

أما الناري الدموي فإن العالم سيهلك بالنار والدم.

أما الجزء المذهب فهو أنتم الذين تهربون من هذا العالم؛ فكما أن الذهب يُختبر بالنار ويصبح صالحاً للاستعمال، كذلك

أنتم الذين تقطنون هذا العالم تُختبرون...

أما الجزء الأبيض فإنه الدهر الآتي الذي يقطنه مختارو الله، لأن المختارين للحياة أبدية يكونون طاهرين بلا دنس. [رؤيا 4: 2، 5]

في الرؤيا الخامسة يظهر ملاك التوبة في ثوب راعٍ يدبر أمور التوبة، ويضمن نتائجها، ويعلن عن الوصايا الواجب حفظها.

هنا نلاحظ أن ملاك التوبة لم يظهر لهرماس إلا بعدما تمتع برؤية الكنيسة الشابة الجميلة الغالبة للثنتين، المتوجة بإكليل النصر، المتوشحة بالقداسة (البياض)، المنتعلة بحذاء أبيض، أي تسلك الطريق الملوكي بالنقاوة، المحتشمة (تغطي رأسها حتى الجبين)، الحكيمة (شعرها أبيض)... هذا المنظر بعث فيه فرحاً يسنده على قبول الوصية والجهاد من أجلها في الرب. لا يستطع المؤمن أن يحب الوصية، ويتقبلها بفرح، ما لم يكتشف الحياة الكنسية المجيدة الغالبة للشر، والحاملة قداسة مسيحتها. وكأن الوصية ليست أوامر ونواهٍ، إنما هي الطريق الملوكي الذي فيه ننع بمسيحنا واهب الغلبة والحياة المقدسة.

الوصايا الاثنتا عشرة

1. الإيمان بالله الخالق وخشيته التي تبعث التعفف.
2. البساطة وعدم النميمة وعدم الانشقاق وحب العطاء.
3. الصدق أو الحق: الله الساكن فينا هو الحق! [أحب الحق، ولا ينطق فمك إلا به، ليرى الناس جميعاً حقيقة الروح الذي أسكنه الله فيك، وهكذا يتمجد الرب الساكن فيك، لأن الله حق في كل أقواله، وليس فيه كذب قط.] (وصية 3: 1)
4. طهارة المتزوجين: [إذا اكتشف (الزوج) أن (زوجته) تزني، ورفضت أن تتوب، فإنه يكون شريكاً معها في زناها وخطيئتها إن عاش معها.] (وصية 4: 1، 5)
5. طول الأناة: [إن كنت طويل الأناة، فالروح القدس الذي يسكن فيك يبقى نقياً ولن يزورك فكر شرير قط. إن كان قلبك طاهراً، فالروح الذي فيك يبتهج ويتهلل، إذ يعمل في سعة بيتك الذي تحكمه البساطة بصفاء، أما إذا دخله الغضب، فينزح الروح القدس المملوء رقةً بتلوّث المكان الذي يعيش فيه ويحاول مغادرته... طول الأناة يفوق العسل حلوة.] (وصية 5: 1: 2-6)
6. السلوك في طريق العدل لا الظلم: [يصحب الإنسان ملاكان، ملاك العدل وملاك الشر... عندما تشعر بالتنمر والمرارة فاعلم أن الشيطان يسكن فيك... فابتعد عنه ولا تصدقه، لأن أعماله تضر عبيد الله.] (وصية 6: 2: 1، 5، 6)
7. خف الله لا الشيطان: [اخش الرب واحفظ وصاياه التي تقويك في كل أمورك، فلا يكون مثيل لأعمالك... لا تخف الشيطان إذا خشيت الرب، فإن خشيتك لله تعطيك سلطاناً على الشيطان.] (وصية 7: 1-2)
8. اصنع الخير وكف عن الشر: [إن فعلت الصلاح تحيا في الله، ويحيا أيضاً الذين يفعلون الخير مثلك.] (وصية 8: 12)
9. الكف عن الشك: [إذا تسأل الشك إلى قلبك لن تنال شيئاً... أما الذين يطلبون واثقين فإنه ينالون ما يريدون، لأن صلواته تخلو من التردد والشك.] (وصية 9: 5-6)
10. الكآبة: [اطرد عنك الحزن (الكآبة)، فإنه شقيق الشك والغضب.] (وصية 10: 1: 1) [الروح القدس القاطن فيك لا يحتمل الكآبة ولا الانزعاج.] (وصية 10: 2: 6) [الكآبة إذا امتزجت بالصلاة، يمنعها من الصعود نقيّة.] (وصية 10: 3: 3)
11. الأنبياء الكذبة: التواضع يميز النبي الصادق من النبي الكذاب (وصية 11: 8).
12. ترك الشهوات الشريرة: إقبل كل شيء إياك واشتهاء امرأة غريبة والترفم والتتعمم بالباطل والسكر وكل شهوة أو لذة صبيانية. الشهوة الشريرة إذا رأتك مسلحاً بخوف الله تولي هاربة، ولا تجسر قط أن تظهر أمامك إذا رأتك مستعداً

لمقاومتها، حينئذ يتوّج رأسك بإكليل الظفر. اقترب من الرغبة الصالحة... وكرّس نفسك لها، وضع نفسك تحت تصرفها، وهكذا تستطيع أن تسيطر على الشهوة الشريرة، وتتحكّم بها بإرادتك. [وصية 12: 2: 1-5]

[يجيد الشيطان الصراع، لكنّه لا يغلب إذا صمدتم في وجهه، بل يندحر ويهرب خجلاً. الأشخاص الفارغون هم الذين يخافون الشيطان كقوّة.] [وصية 12: 5: 2]

[لا تخافوا مطلقاً تهديدات الشيطان، فإنّه مشلول كأعصاب ميّت.] [وصية 12: 6: 2]

الأمثال أو التشبيهات *similitude*

جاءت الخمسة أمثال الأولى من نوع الوصايا.

المثل أو التشبيه الأول: التغرّب. [إنكم تعلمون يا عبيد الله أنكم تقطنون أرضاً غريبة، وأن بلدكم بعيد جداً وليس ههنا... فلماذا تقتنون الأراضي الشاسعة والقصور والأبنية والمساكن ما دمتم تعرفون أن المدينة التي ستستوطنونها ليست هنا؟! من يهيب نفسه لهذه الحياة يصعب عليه أن يعود إلى مدينته الحقيقيّة.] (الأمثال 1: 1-2)

المثل أو التشبيه الثاني: الكرمة وشجرة الردار (محبّة الفقراء).

المثل أو التشبيه الثالث: الأشجار العارية في الشتاء. [الأشجار التي تراها هم سكان هذا العالم... لأن الصديقين والخطاة لا يتميّزون في هذا العالم بل جميعهم يتشابهون. هذا العالم بالنسبة للصديقين هو بمثابة الشتاء، ولا يتميّزون عن الخطاة الذين يسكنون معهم. ففي الشتاء تفقد الأشجار أوراقها وتصبح متشابهة تماماً، ويصعب التمييز بين الأشجار الميتة والأشجار الحيّة.] (الأمثال 3: 2: 3)

المثل أو التشبيه الرابع: تمييز الأشجار في الصيف. [كما أن ثمار الأشجار تظهر في الصيف، وتعرف كل شجرة من ثمارها، كذلك سيُعرف الصديقون المثقلون بأوراق تعطي ظلاً من ثمارهم. أمّا الوثنيون والخطاة الذين ترمز لهم الأشجار اليابسة، فسيظهرون في الدهر الآتي على حالتهم. يابسين عقيمين، ويُلقي بهم في النار كالحشب اليابس، لأن أعمالهم كانت شريرة.] (الأمثال 4: 3: 4)

المثل أو التشبيه الخامس: مفهوم الصوم الحقيقي. [اسمع. فإن الله لا يريد صوماً باطلاً كهذا الصوم؛ إن صمت هكذا فأنت لا تعمل شيئاً للرب. صم للرب هكذا: لا تصنع الشر، واخدم قلب نقي، واحفظ وصايا الله، وسِرْ حسب أوامره، ولا تترك للشهوة الشريرة منفذاً في قلبك، وثق بالله، فإن فعلت هذا، وخشيت الله، تكون قد صمت صوماً عظيماً مقبولاً لدى الله.] (الأمثال 5: 1: 4-5)

تحدّث أيضاً عن **الطهارة**: [احفظ جسدك طاهراً بلا دنس حتى ينال شهادة الروح القدس الساكن فيه.] (الأمثال 5: 7:

(1

الأربعة أمثال أو التشبيهات التالية (6-9) تعالج بشيء من التفصيل موضوع التوبة، بينما في المثل الأخير (10) يعود فيظهر البرج مرة أخرى، ويعلم ملاك التوبة هرماس أن ينقّي عائلته من كل شر، وأن ينصح كل أحد بالتوبة.

المثل أو التشبيه السادس: حوار بين ملاك الشهوة والخداع وملاك العقاب في ثوبي راعيّين.

المثل أو التشبيه السابع: هرماس يتألّم بسبب خطايا عائلته.

المثل أو التشبيه الثامن: شجرة الصفصاف وعمل النعمة.

أراه الراعي شجرة صفصاف كانت تظلّ سهوياً وجبالاً، وقد اجتمع تحتها كل الذين دعوا باسم المسيح. وكان ملاك الرب العظيم بقامته الفارعة يقف تحت الشجرة وفي يده منجل، وكان يقطع به أغصاناً، ويوزّعها على الجمع المحتشد تحت ظلّاتها. وكانت الأغصان صغيرة لا تتجاوز طول الشبر. وبعد أن استلم الجميع أغصانه وضع ملاك الرب المنجل جانباً، وظهر الشجرة كأنّها لم تمس.

شجرة الصفصاف - كما قال ملاك التوبة - هي الناموس أو ابن الله، ربّما قصد بها كلمة الله أو الوصية المكتوبة، أو كلمة الله المتجسد، فإن كل مؤمن بالكلمة المتجسد يكون كمن تمتّع بغصن، ويلتزم أن يبقى أميناً في إيمانه بالحياة الإنجيلية الحية.

وملاك الرب العظيم هو رئيس الملائكة ميخائيل، الموكل إليه حفظ إيمان الكنيسة.

جاء وقت استلام الأغصان وفحصها بدقّة، فماذا وجد؟

1. أُعطي لمن كانت أغصانه يانعة ومثمرة أكاليل كأنّها مصنوعة من أغصان النخيل على رؤوسهم وأدخلوا في البرج، هؤلاء هم الذين صاروا الشيطان وغلبوه، وتحملوا الموت من أجل الوصية، فتمتّعوا بلكيل النصر.
2. الذين قدّموا أغصانه يانعة دون ثمر أرسلهم إلى البرج بعد ختمهم بخاتم، وهناك صاروا يلبسون ثياباً بيضاء كالنّج، هؤلاء هم الذين طبقوا الناموس وتحملوا اضطهادات ولم ينكروا اسم المسيح.
3. سلّم الملاك العظيم لملاك التوبة بقية الجموع ثم غادر المكان، وصار ملاك التوبة يفحص أغصانه فوجدها هكذا:
 - أ. البعض يابسة دون أن ينخرها السوس.
 - ب. البعض نصف يابسة (المرتدّون الذين هم ليسوا أحياء ولا أموات).
 - ج. البعض نصف يابسة ومشقّقة (المرتدّون النمامون).
 - د. البعض نصف خضراء مشقّقة (مؤمنون لكنهم يطلبون المجد الباطل).
 - هـ. البعض نصف خضراء ونصف يابسة (المنغمسون في الزمانيات).
 - و. البعض خضراء بثلاثيها والثالث الباقي يابس (الذين أنكروا الإيمان أحياناً وأعلنوه أحياناً).
 - ز. البعض يابسة بثلاثيها والثالث الباقي أخضر (الذين بعد قبولهم الإيمان عادوا إلى طريق الأمم).
 - ح. البعض خضراء كلّها إلا القليل من أطرافها (المؤمنون الذين سقطوا عن ضعف).
 - ط. البعض يابسة إلا القليل من طرفها أخضر (المؤمنون الذين يصنعون الإثم لكنهم يفتخرون باسم الله ويستقبلون خدام الله بفرح).

أخذ ملاك التوبة من الناس الأغصان وزرعها في الأرض مترجياً أن تعود إليها الحياة بالتوبة، وصار يسقيها، لأن الخالق يريد الحياة لكل من تسلّم غصناً من هذه الأغصان.

جاءت الجماعات مصطفة حسب ترتيب تسليمهم الأغصان، وعاد يفحص الأغصان، البعض عادت إليها الخضرة، والأخرى أكلها السوس؛ البعض صار بها براعم ثمر والأخرى بقيت عقيمة...

سأل هرماس: لماذا لم يتب الجميع؟ فأجابه ملاك التوبة: يعطي الله روح التوبة للقلوب التي تنتقي وتتنهّر، أما الخبيثة فتكون توبتها مرآئية، ولن يعطيها روح التوبة، لئلا تهين اسمه. [الأمثال 8: 6: 2]

المثل أو التشبيه التاسع: الكنيسة كبرج عجيب

قاد ملاك التوبة هرماس إلى جبل أركاديا، وهو جبل لولبي، وأجلسه فوق القمة، وأراه سهلاً عظيماً تحيطه دائرة من اثني عشر جبلاً، ولكل جبل شكل خاص به. هذه الجبال تمثّل اثني عشر سبطاً يقطنون كل العالم، كرز لهم الرسل بآبنا الله، أي تشير إلى الكنائس المحلية المنتشرة في العالم، لها ثقافات خاصة وطقوسها الخاصة، لذا ظهرت الجبال مختلفة الشكل، التي ربّما تشير إلى المؤمنين الذين بينهم من هم أمناء، ومنهم من هم غير أمناء.

⊞ جبل أسود (المؤمنون الذين جدّفوا على الرب وخنأوا خدامه).

⊞ جبل عارٍ لا عشب فيه (المراءون ومعلّمو الفساد).

⊞ جبل مليء بالأشواك والعليق (الأغنياء المرتبكون بهموم العالم).

⊞ جبل نصفه مملوء عشباً؛ وكانت رؤوس الأعشاب خضراء، والقسم القريب من الجذور يابساً، وكانت الحرارة تُبيس بعض الأعشاب (المرتدون الذين يشهدون للرب بأفواههم، أمّا قلوبهم فبعيدة عنه).

⊞ جبل معشب ووعر (المؤمنون العصاة المعجبين بأنفسهم كمعلمين).
⊞ جبل مليء بالحفر الصغيرة والكبيرة، فيها عشب ذابل (الحاقدون).
⊞ جبل مليء بالأعشاب النضرة، ترعى فيها الحيوانات فيزداد نضارة وبهاءً (البسطاء الراضون عن خدام الله المملوعون رحمة وحباً).

⊞ جبل مليء بالينابيع، تشرب منها مخلوقات الله (الرسل والمعلمون).
⊞ جبل بدون ماء، فيه زحافات ميتة (الشمامسة السالبون ما لله).
⊞ جبل عليه أشجار كبيرة تستظل تحتها قطعان الغنم (الأساقفة الأمناء).
⊞ جبل مغطى بغابة كثيفة من الأشجار المثمرة شهية (المتألمون لأجل الله).
⊞ جبل أبيض يبعث في النفس بهجة وذنوبة (المؤمنون البسطاء كأطفال أبرياء).

هذه صورة الشعب المسيحي بين الأمم، منهم البعض مثل جبل أسود، والبعض مثل جبل أبيض؛ منهم من يحمل ثمار الروح الشهية، ومنهم من هو عقيم؛ منهم ما بهم ينابيع نعمة الله المروية للنفوس، ومنهم ما يقتله الجفاف الروحي الخ.
أراه أيضاً صخرة بيضاء كانت تقوم مرتفعة في وسط السهل، وكانت الصخرة أعلى من الجبال ومربعة، تستطيع أن تسع العالم. كانت الصخرة قديمة وبابها محفور في أحد جوانبها، وقد ظهر له الباب محفوراً حفرًا حديثاً. كانت الصخرة أكثر لمعاناً من الشمس، حتى أثارت أشعتها إعجابه. الصخرة القديمة هي ابن الله الأزلي، صخر الدهور الذي يسع العالم كله ككنيسة مقدسة يحملها بذراعيه، أما الباب الجديد فيشير إلى تجسده، به ندخل إليه، وننعم بخلاصه، ونحيا في ملكوته.
كان حول الباب اثنتا عشر عذراء: أربعة منهن، وهن أجملهن، كن يقمن عند الزوايا، أما الباقيات فكن يقفن بين كل زاويتين، اثنتين اثنتين، وكن يلبسن لباساً من الكتان، ويأتررن مآزر جميلة، وكانت أكتافهن عارية كأنها أعدت لحمل شيء ما، وكن يقفن مستعدات فرحات.

العذارى الواقفات عند الزاوية هن: الإيمان والعفة والقوة وطول الأناة؛ أما الواقفات بينهن فهن: البساطة والبراءة والنقاوة والصفاء والحقيقة والفتنة والتصافي والمحبة. من حمل هذه الأسماء مع اسم ابن الله يمكنه أن يدخل ملكوت السموات.
كان المشهد مثيراً ورائعاً، ومحيراً، فقد رأى العذارى الرقيقات اللواتي يقفن بنعومتهم وقفة رجولية كأنهن يتهيأن ليحملن السماء كلها (٢: ٩: ٥). هكذا تتمتع نفس المؤمن الحقيقي بركة شديدة ولطف زائد، فتكون كمجموعة من العذارى الجميلات الرقيقات، لكنها تحمل قوة وتسلك بحزم وفي وضع كمن يحمل السماء عينها! إنهن تحملن صورة ابن الله وسماته الوديع كل الوداعة ليجتذب الخطاة بحبه اللانهائي، حازماً ضد الشر، يقتل إبليس ويهدم سلطانه.

رأى أيضاً ستة رجال مقبلين بقامتهم الطويلة ومشيتهم الرصينة وهيئتهم المتشابهة، وقد استندوا عددًا من الناس طوال القامة مشرقي الطلعة أقوياء. وأمرهم الستة أن يبنوا فوق الصخرة وفوق الباب برجاً. هؤلاء الرجال هم الملائكة المحيطون بابن الله، ثلاثة عن اليمين وثلاثة عن اليسار، يحثون المؤمنين للعمل الكنسي، لبناء كنيسة الله على الإيمان بالمسيح الصخرة والباب.

كانت العذارى يطلبن من الرجال أن يسرعوا لبناء البرج، وكن يمددن أيديهن لمن يردن أن يتسلمن شيئاً.
بناء على أمر الرجال الستة اقتلع الرجال عشرة حجارة مرعبة برآقة غير منحوتة، استلمتها العذارى، وحملن إياها إلى الرجال الذين أوكل إليهم بناء البرج. هذه الحجارة أستخرجت من أعماق البحر، وتعاونت العذارى معاً على حملهن حجراً حجراً. هذه الحجارة هي الجيل الأول من المؤمنين الذين كانوا يحملون من البحر كمن يُنتزعون من الطبيعة الميتة، ويدخلون بالإيمان بابن الله مع سلوكهم الحياة المقدسة الجديدة (العذارى) إلى بناء ملكوت الله الروحي أي إلى الكنيسة.

كان بناء البرج يتم فوق الصخرة وفوق الباب، وقد تغطت الحجارة كلها بتلاحمها معاً فوق الصخرة التي صارت أساساً للبرج. وبعد الحجارة العشرة استخرج من الأعماق خمسة وعشرون حجراً دخلت في البناء كما حدث مع العشرة حجارة؛ ثم خمسة وثلاثون ثم أربعون، وهكذا أصبح أساس البرج مؤلفاً من أربعة صفوف. توقف استخراج الحجارة من الأعماق،

وتوقّف البنّاعون قليلاً عن البنّاء، ثم أمر الرجال السّنة جموع الفعلة بجلب الحجارة للبناء من الجبال. فانطلقوا يحملون حجارة مختلفة الألوان، وكانوا ينحتونها ويسلمونها للعداري اللواتي كن ينقلنها من الباب ويسلمنها لبناء البرج. وعندما كانت هذه الحجارة تُوضع في مكانها من البناء تفقد ألوانها وتصبح كلّها بيضاء. إنّها تمثّل الكنيسة التي تصبح قلباً واحداً نقياً وبهياً في المسيح يسوع.

الحجارة التي لم تتسّمها العداري لم تدخل من الباب، ولم تكن ملائمة للبناء، بلا بهاء، ولم يتغيّر لونها إلى الأبيض الناصع.

توقّف العمل قليلاً وبقيت العداري حارسات البرج حتى يأتي صاحب البرج، فقبلته العداري ودرن معه حول البرج. صار يفحص البرج بدقة متحمّساً كل حجر، وكان يضرب بعضها بعضاً في يده، فكان بعضها يسودّ والبعض يتفتّت أو يتشقق أو يُبتر، وظهر البعض أنها ليست بلون أبيض ولا أسود، وظهرت حجارة إنّها خشنة لا تصلح للبناء والبعض مطّخة... هذه حجارة لا تصلح للبناء، نُزعت عن البرج واستبدلت بغيرها، أتوا بها لا من الجبال بل من سهلٍ مجاور. حفروا السهل، فعثروا على حجارة لامعة مكعبة وبعضها مستدير. هؤلاء هم الأغنياء الذين عاشوا حياة سهلة لكنهم لم يتركوا الإيمان ولم يخرج من فمهم كلمة بطّالة، إذ نُزع عنهم حب الغنى صاروا حجارة حيّة لامعة في بيت الرب.

بعض الحجارة الكروية احتاجت إلى نحتها لتوضع في البناء. وهكذا نرى صاحب البرج يشتاق أن يستخدم كل حجر في البناء، لكن الحجارة التي لا تستجيب تُرذل، ويُلقى بها بعيداً عن البرج. جاء ملاك التوبة بعد يومين لتنظيف المكان خارج البرج، فكان يلقي كل حجر لا يدخل في البناء بعدما يبذل كل الجهد لتسليم كل حجر للعداري الست حتى المفتت والمشقق لعلّه يصلح في البناء. المثل أو التشبيه العاشر: ينبّه ملاك العقاب هرماس وعائلته بالتوبة، معلناً أن العداري فرحات بوجودهنّ عنده، وأنّه ينصحهنّ ألاّ يتركن بيت هرماس فقبلت العداري النصيحة فرحات.

أفكاره

1. التوبة

جاء في الوصيّة الرابعة حوار بين هرماس وملاك التوبة عن موضوع التوبة وغفران الخطايا بعد نوال المعمودية.

[قلت: أيمكنني يا سيدي أن أسألك سؤالاً آخر؟

قال: تكلم.

قلت: سمعت بعض المعلمين يقولون أنّه ليس هناك توبة (عن جحد الإيمان) غير التي نلناها عند المعمودية حيث نلنا غفران الخطايا السابقة.

فقال لي: ما سمعته صحيح. وهذا هو الواقع، فالذي نال مغفرة الخطايا يجب عليه ألاّ يخطئ، بل يبقى في النقاوة... إنني أقول لك أن الإنسان يخطئ خطيئة عظيمة إذا وقع في التجربة بعد تلك الدعوة العظيمة الشريفة؛ للإنسان توبة واحدة؛ ولكنّه إذ يخطئ المرّة بعد الأخرى، فالتوبة غير مفيدة^[283].

1. يلاحظ هنا أن ملاك التوبة يفتح باب التوبة أمام الساقطين بعد العماد في خطيئة عظيمة، ربّما عني بها جحود الإيمان وقت الضيق والاضطهاد حيث ثارت في الكنيسة مناقشات كثيرة حول إمكانية قبول توبتهم؛ لكنّه يضع أمام التائبين فرصة نهائية، فلا تُستغل طول أناة الله ومراحمه للسقوط المتكرّر.

هنا لا يتحدّث ملاك التوبة عن السقوط في الضعفات التي يئن منها الجميع، إنّما عن خطايا معيّنة تمس إيمان الإنسان أو قدسيّة حياته بأكملها^[284].

ب. تحمل التوبة سمة "الجامعية" فلا يُستبعد خاطئ ما منها، لا يُستبعد الإنسان الدنس أو الجاحد، وإنما يُستبعد فقط من يصير على عدم التوبة.

ج. يلاحظ هنا أن التوبة تترجم إلى عمل، أو إلى حياة إيمانية عاملة. التائب حجر حيّ تتلقفه الاثنتا عشر عذراء اللواتي هن: الإيمان والعفة والقوة وطول الأناة والبساطة والحب الخ^[285]. أما غايتها فهو التمتع بالعضوية الكنسية الروحية، البناء الأبدي القائم على السيد المسيح الصخرة المتسعة لكل البشر، والباب المفتوح لكل تائب^[286].

د. التوبة حياة شخصية خفية وليست مجرد ممارسات ظاهرة. هذه الحياة لا تُختبر خارج الحياة الجماعية الكنسية. فالمؤمن يبقى حجراً لا قيمة له، ولا يتغير لونه إلى البياض والبهاء ما لم تدخل به العذارى إلى البرج ليصير مع إخوته بناءً مترابطاً وبهياً.

في المثل أو التشبيه التاسع يبرز أنه لا مكان للمؤمن في البرج أي في الكنيسة بدون توبة، وأيضاً لا خلاص إلا بالدخول في البرج. كأنه بالتوبة نتمتع بالحياة الكنسية الحقيقية، وبالحياة الكنسية نخلص من الخطية وننعم بحياة القداسة المجيدة.

2. الإيمان بالثالوث

لم يذكر هرماس قط اسم "يسوع المسيح"، بل دائماً يدعو ابن الله أو السيد، كما خلط في في المثل أو التشبيه التاسع بين الروح القدس وابن الله، إذ يقول له ملاك التوبة: [أريد أن أريك كل ما أظهره لك الروح القدس الذي خاطبك باسم الكنيسة، هذا الروح هو ابن الله^[287]]. وفي مثل ٥: ٦: ٥-٧ جعل الروح القدس الخالق متجسداً... هكذا حدث لبس في نظرتنا للثالوث، ما لم يكن الخطأ في النسخة منذ عصر مبكر.

3. الكنيسة

1. كتاب "الراعي" هو دعوة حارة للتوبة، فهو في الحقيقة دعوة للدخول إلى العضوية الكنسية حيث جماعة التائبين المتمتعين بنعمة الله وعمله الخلاصي. رأينا في في المثل أو التشبيه التاسع على وجه الخصوص كيف نزع ابن الله، صاحب البرج، من كنيسته الحجارة غير اللائقة، ولم يقبل عودتها لتكون جزءاً لا يتجزأ من البناء بطريق آخر غير التوبة العملية والمستندة على ابن الله، الصخرة المتسعة لكل البشر.
2. الكنيسة - عند هرماس - هي أول المخلوقات، لم يُخلق العالم إلا لأجلنا^[288].
3. لا يتجاهل هرماس ضعفات الكنيسة، بل يتحدث عنها بإسهاب في الرؤيا الثالثة، ومع وجود هذه الضعفات كان مملوءاً رجاءً في الله الذي يبني الكنيسة كبرج بسرعة^[289].
4. تحدث بطريقة غير مباشرة عن النظام الكهنوتي، فقد مدح محبة الأساقفة الروحانيين، وفي صراحة وبخ الكهنة (القسوس) والشمامسة على أخطائهم.
5. بغض النظر عما للإكليروس من فضائل أو ضعفات فإنه يتطلع إلى الكنيسة نفسها كأمر للمسيحيين. إنها كأمر تتصح أبناءها قائلين: [اسمعوا يا أولادي؛ لقد رببتكم ببساطة عظيمة وبراعة وقداسة^[290]].
6. يتحدث عن وحدة الكنيسة فيما بينها وحدثها مع مسيحها، إذ رآها برجاً كما لو كانت حجراً واحداً منفرداً^[291]. كما رآها والصخرة القائمة عليها كتلة واحدة^[292].

4. المعمودية

1. لا يتمتع أحد بالعضوية الكنسية ما لم يتقبل المعمودية:

[سألتهما: لماذا يُبنى هذا البرج فوق الماء يا سيديتي؟

فقلت: لقد قلت لك من قبل... إن حياتنا خلصت وتخلص بالماء. للبرج أساس، وأساسه كلمة اسم الله العظيم الممجّد، قائم بقوة السيد غير المنظورة [293].

2. تسمى المعمودية ختمًا

[الذين لا يحملون اسم ابن الله هم أموات، إلا أنهم عندما ينالون الختم يخلعون الموت ويلبسون الحياة. الختم هو ماء المعمودية، ينزلون في الماء أمواتًا ويخرجون منه أحياء. لقد أعلن هذا الختم لهم أيضًا، فاستخدموه ليدخلوا ملكوت السموات [294].

ويلاحظ أن العماد هو نزول إلى الماء كما إلى القبر، وخروج منه كما بقيامة السيد المسيح، يتم بالتغطيس للشركة في دفن المسيح وتمتّع بقيامته، كقول الرسول بولس: "قدفنا معه بالمعمودية للموت؛ حتى كما أُقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضًا في جدة الحياة" (رو 6: 4).

3. يرى هرمانس أن الرسل والمعلمين نزلوا إلى الجحيم ليعمّدوا الذين رقدوا في الفضيلة والإيمان بابن الله قبل مجيء السيد المسيح، ويصيروا معهم حجارة مبيّنة في البرج الأبدى. هكذا يرى العماد ضروريًا حتى لرجال العهد القديم الذين ماتوا على رجاء الخلاص. هذه النظرة مُبالغ فيها، لكنّها تكشف عن مدى أهمية المعمودية في العصر الرسولي للتمتّع بالخلاص.

5. الأخلاق

1. يقول كواستن Quasten أنه جدير بالملاحظة وأمر هام أن هرمانس يميّز بين الوصية والمشورة؛ الوصية تأمر بما يجب الالتزام بها، أمّا المشورة فتعني أن الإنسان يتمّم ما بعد المشورة بمحض إرادته.

[سأظهر لك وصاياها، فإن فعلت ما هو أكثر تتال مجداً أعظم وحظاً أوفر عند الله [295].

من الأعمال التي بها نمارس ما هو أكثر من الوصايا: الصوم والبتولية والاستشهاد.

كأن المسيحية لا تقف عند حدود معينة، أو لا تعترف للوصية حدًا، إذ يشترك المؤمن أن يُبدل كل يوم في أصوامه، وأن يسمو بمشاعره فيقدّم نفسه بتولاً لا تتشغل إلاّ بعريسها السماوي؛ ويشتهي أن يموت من أجل من مات عنه.

2. لكل إنسان ملاكان، ملاك البرّ يحث الإنسان على الحياة الفاضلة من تقوى وطهارة وقداسة الخ، وملاك الشر يثير فيه الشر. كلا الملاكين يريدان السكنى في القلب؛ الأول أنيس ومتواضع ووديع، والثاني عنيف ومبغض وأحمق [296].

3. يتطلّع هرمانس إلى الغنى كعائق في الحياة الروحية، بل أحياناً يقود إلى إنكار السيد [297].

6. الزواج

في رأيه لا يجوز لأحد الزوجين أن يتزوَّج بسبب زنى الطرف الآخر، لكنّ يمكنه أن ينفصل عنه، وإن تاب الطرف الآخر فليقبل توبته [298].

يجوز الزواج بعد وفاة الطرف الآخر، وإن بقي الشخص بدون زواج شرافاً عظيماً ومجداً أمام السيد [299].

مخطوطات وطبعات "الراعي"

يقول مطران حلب إلياس معوض لم يكن الراعي لعام ١٨٥٦م معروفاً إلا في ترجمة لاتينية يرجح أنها من القرن الثاني، وقد طبعت هذه أولاً في باريس عام ١٥١٣م، وفي عام ١٨٥٧م طبعت عن مخطوطة من القرن الرابع عشر ترجمة لاتينية ثانية تستند على الأرجح إلى الترجمة الأولى، ويغلب الظن إنها من القرن الرابع أو الخامس.

أما المخطوطة اليونانية "للاعي" فإن أول من وجدها هو قسطنطين سيمونيدس المزور وذلك عام ١٨٥٥م، في دير القديس غريغوريوس في جبل آتوس. وهذه المخطوطة المنسوخة بخط كثيف هي من القرن الرابع عشر؛ تتألف من عشر ورقات، والورقة الأخيرة منها مفقودة. انتزع سيمونيدس من ورقات المخطوطة، الخامسة والسادسة والتاسعة، ونقل الورقات الباقية باعتناء، ولم يذكر اسم الدير الذي وجدت فيه. ثم باع الورقات الثلاث الأصلية مع الورقات المفقودة إلى مكتبة ليبزيغ، وهكذا عرفت التسعة أعشار من المخطوطة اليونانية "الراعي"، وقد نشره Anger and Dindorf، في ليبزيغ سنة ١٨٥٦م. ثم أخذ سيمونيدس يطلع على العالم، شيئاً فشيئاً، بمخطوطات جديدة "للاعي" حتى أوصلها إلى عشر مخطوطات، أقدمها ادعى بأنه اكتشفها في جبل سيناء عام ١٨٥٢م ويعود تاريخها إلى القرن الأول، وهي بالنتيجة أقدم كل المخطوطات في العالم. ولما كان سيمونيدس قد وعد بإحضار مخطوطة هرماس كما هي، جاءت دائرة الشرطة في برلين، بإشارة من الكساندر ليكورغو أستاذ الجامعه آنذاك، ورئيس أساقفة سيروس، وتينوس فيما بعد، فضبطت غرفته والمواد التي كان يهيئها لتقديم هذه المخطوطة، الأمر الذي اضطره إلى مغادرة المانيا والشخص إلى إنجلترا حيث تابع عمله كمخادع. وفي عام ١٨٥٩م نشر في لندن بحثاً بعنوان "القليل من الكثير عن الأب الرسولي هرماس"، ونشر في آخر البحث صورة من مخطوطتين قديمتين من عمله، مستنداً إلى الترجمة اللاتينية. على أن Hulgenfeld الذي طبع لهرماس أخذ عن سيمونيدس النهاية المزيفة لكن هارتك بين زيفها. وفي عام ١٨٨٠م صادف أن كان أسبيريدون لأمبروس في دير القديس غريغوريوس في جبل آتوس فدرس مخطوطة هرماس، ونقل بواسطة مرافقة الورقات الست الباقية ونشرها في عام ١٨٨٨م في كمبردج^[300]، وقدمت هذه الطبعة ببحث طويل عن كيفية وجود المخطوطة، وهكذا اتضح أن كل ما جاء به سيمونيدس كان منحولاً^[301].

لعل أقدم نسخ أصيلة لكتاب "الراعي" بقايا برديتان بجامعة ميتشيجان Michigan، وهما يعودان إلى أواخر القرن الثالث، يضمن شيئاً من المثلين أو التشبيهيين الثاني والخامس ومن الوصية الثانية^[302].

كما عثر على الربع من "الراعي" وحتى الوصية الرابعة في المخطوطة السينائية للكتاب المقدس Siniaticus التي عثر عليها Codex Tishendorf سنة ١٨٥٩م، وطُبعت في ليبزيغ عام ١٨٦٣م، وهي ضمن ملحقات العهد الجديد.

وجدت في مصر مقاطع من كتاب الراعي على رق الغزال وعلى ورق البردي.

توجد ترجمة قبطية وحبشية وفارسية للراعي.

الرسالة إلى ديوغنيتس

The Epistle to Diognetus

رسالة نفسية نجهل كاتبها وتاريخ كتابتها ومكان الكتابة، يكتنفها الغموض.

شخصية مؤلفها

يعتقد P. Andriessen أن كوادراتوس Quadratus هو واضع الرسالة، وإنها ليست إلا ذلك الدفاع المفقود له. ومع أن العبارة التي اقتطفها المؤرخ يوسابيوس^[303] في دفاع عن كوادراتوس غير موجودة في الرسالة إلى ديوغنيتس لكن توجد ثغرة بين العبارتين ٦، ٧ في الفصل السابع للرسالة، ويمكن للعبارة التي وردت في يوسابيوس أن تسد هذه الثغرة... المعلومات التي وصلت إلينا عن كوادراتوس من يوسابيوس وچيروم وفوتئوس وما ورد في Bede عن الاستشهاد ورسالة القديس يعقوب المزورة والموجهة إليه جاءت كلها تتفق مع الرسالة إلى ديوغنيتس^[304].

تدل الرسالة على علاقة قوية بين كاتبها والقديس إكليمنضس الإسكندري، أو أن الكاتب المجهول "يدور في فلك إكليمنضس" على حد تعبير كافكن^[305]. على أن بعض الدارسين يروا أن ما هو مشترك بينهما إنما هو قاسم مشترك في التقليد المسيحي القديم، خاصة في مجموعة المدافعين عن الإيمان، وأن الاثنين لم يعتمد أحدهما على الآخر، إنما ارتويا من ينبوع واحد مشترك هو التقليد الكنسي.

من هو ديوغنيتس؟

يظهر من الرسالة أنه شريف، طلب من صديقه المسيحي أن يخبره عن مفاهيم ديانتها وطقوسها. يرى P. Andriessen أنه الإمبراطور أدريان Hadrian، أما ديوغنيتس (تعني حامل السماء) هو أحد ألقابه الشرفية^[306]. جاء في المقدمة: [أنا عالم يا سيدي ديوغنيتس، باهتمامك العظيم الذي تظهره لتتعرف على المعلومات الدقيقة عن الدين المسيحي، لتطلع على حقيقة الإله الذي يؤمن به المسيحيون، والعبادة التي يقدمونها له؛ وعما يدفعهم إلى احتقار (محبة) العالم، والاستهانة بالموت. بأنك تسأل: لم لا يقيم المسيحيون وزناً لآلهة يعترف بها اليونانيون، ولا يعيرون انتباهاً لسفسطات يتشبث بها اليهود؟ وما هو سرّ الحب العظيم الذي يربطهم بعضهم ببعض؟ كما تود أن تعرف أخيراً، لم هذا الشعب الجديد - قل: هذا النمط الجديد من الحياة - جاء إلى حياتنا حديثاً فقط عوض ظهوره في أزمنة مبكرة؟]

سماتها

1. تتحلى الرسالة باللفظ ورقة العاطفة^[307]، فهي درة ثمينة^[308] في مجموعة الدفاع عن الإيمان، وشهادة صادقة للسرّ المسيحي. تتسم بالدقة في التفكير مع وضوح في التعبير^[309]، صاغها الكاتب في شكل أسئلة طرحها عليه صديقه الشريف ديوغنيتس مقدماً إجابة عن هذه التساؤلات.
2. في حديث ديوغنيتس عن سمو المسيحية عن الوثنية أبرز جانبين: الأول: كيف يمكن للإنسان أن يتعبد لصنم صنعته يد بشرية من مادة قابلة للتلف والفناء، كما يتعرض الصنم نفسه للسرقة؟ والثاني: تمج النفس الذبائح الدموية.
3. أبرز سمو المسيحية وكمالها عن اليهودية بارتفاعها فوق الحرفيات القاتلة من تطهيرات، واهتمام بختان الجسد، كما لا يحمل المسيحيون كبرياء اليهود واعتدادهم بذاته.
4. كشف عن سمو الحياة المسيحية وسلوك المسيحيين في أيامه، في النقاط التالية:
 - أ. يُترجم سمو إيمانهم خلال السلوك العملي اليومي.
 - ب. الإيمان المسيحي هبة إلهية، يسمو فوق العقل لكنه لا يناقضه، قدمه الله الكلمة نفسه.

[العقيدة التي يدين بها المسيحيون، ويحيطونها بجليلٍ من العناية، ما كانت قط يوماً من استنباط إنسان، فإن إيمانهم لا يمت بصلة إلى أسرار البشر. إنه بالحقيقة هبة القدير بالذات، خالق الكل، غير المنظور، عطية السماء، فهو الذي جعل الحق بين الناس، أعني كلمته القدوس غير المدرك، الذي وطّد الله في قلوب المؤمنين به.]
[إن رب الكون... قد ظهر للبشر في ملء مجيئه... كشف لنا عن قصده في شخص ابنه الحبيب، وأعلن ما أعده لنا منذ البدء.]

[الله لم يبغضنا، ولم يبنذنا، ولم يحقد علينا، بل اتّسم بطول الأناة زمنًا، وحمل أعباءنا، تحنّ علينا، وأخذ على عاتقه وقر خطايانا، وأسلم وحيدَه فداءً عنا. أجل! لقد أُسلم القدوس للمجرمين، والبار للأئمة، والصدّيق للمنافقين، والأزلي للماتنين. بمَ كان يمكن أن تُستر أثامنا إن لم يكن ببرّه هو؟ بمن نتبرّر نحن الأئمة إن لم يكن ببرّ ابنه الوحيد؟]
[لقد ظهر الكلمة وأعلن نفسه للبشر. وإذ لم يفهمه من لم يؤمنوا به، كشف عن سرّه لتلاميذه الذين عرفهم، فأمن به تلاميذه، ونالوا من معرفة أسرار الأب. لهذا جاء كي يعلن ذاته. ولما استهانته به خاصته، حمل الرسل بشارته إلى الأمم فأمنت به. في البدء كان، وظهر كأنّه جديد، وهو القديم. ميلاده يتجدّد دومًا في قلوب قديسيه. أنه الأبدى ونحن اليوم نعرفه كأنّه جديد!]

ج. المسيحيون ليسوا، كما يتخيل ديوغنيس، شعبًا متفوقًا حول ذاته، يقيم من ذاته دولة لها لغتها الخاصة وعاداتها المستقلة، إنما الإيمان المسيحي هو انفتاح على البشريّة، على خلاف اليهود.
[لا وطن، ولا لغة، ولا عادات، تميّز المسيحيين عن سائر البشر. فهم لا يقطنون مدنًا خاصة بهم، ولا ينفردون بلهجة معيّنة.]

د. طبيعة الكنيسة سماوية، لكنها تؤمن بالواقع العملي بكونها تعيش على الأرض.
[يقيم كل منهم في وطنه، إنما كغريب مُضاف...
أنه في الجسد، ولكنهم لا يعيشون حسب الجسد.
يصرفون العمر على الأرض، إلا أنه من مواطني السماء.]
هـ. العالم يضاد الكنيسة لكنه لا يقدر أن يؤذيها، وتبقى الكنيسة تحب العالم وتخدمه بإخلاص، قد يسلبها العالم الأمور الزمنية لتفتقر، ويفقرها تغني الكثيرين.
[الجميع يضطهدونهم، ويتنكرون لهم، ويحكمون عليهم، أما هم فيموتهم يربحون الحياة. إنهم فقراء، ويفقرهم يغنون الكثيرين. يفتقرون إلى كل شيء، وكل شيء فائض لديهم.]
و. علاقة الكنيسة بالعالم كعلاقة الروح بالجسد، مصدر حياتهم، إنها خميرة المجتمع البشري، والنور الذي يهديه سواء السبيل.

[يقيم المسيحيون في العالم كما تقيم الروح في الجسد.
الروح منتشرة في أعضاء الجسد انتشار المسيحيين في مدن العالم.
الروح تقيم في الجسد، إلا أنها ليست من الجسد المنظور...
الجسد يكره الروح ويقاومها، وإن لم ينله منها أذى، سوى أنها تحول دون انغماسه في حمأة اللذات. والعالم يكره المسيحيين، لا لأنه أساءوا إليه، بل بكونهم يتصنّون لما فيه من شهوات منحرفة فاسدة. تحب الروح الجسد الذي يبغضها، كما يحب المسيحيون مبغضهم.
الروح سجينّة الجسد، ولولاها لما كان للجسد من حياة، والمسيحيون موتقون في سجن العالم، ولولاها لا قيام ولا حياة للعالم.]

ز. إخضع المسيحيون للشرائع؛ هم مواطنون صالحون، يعملون بنشاط في خدمة بلدهم. يمتلكون للشرائع القائمة، إلا أن نمط حياتهم يسمو كمالاً على الشرائع... لا يعملون إلاّ الصلاح، ويُعاقبون كأدنياء، وفي عقابهم يتهللون كأنهم يولدون للحياة].

ح. تعيش الكنيسة حياة الشركة في كل شيء ما عدا الحياة الزوجية، إذ يقول العلامة ترنتليان: [كل شيء مشترك بيننا عدا زوجاتنا^[310]]. وجاء في الرسالة إلى ديوغنيتس: [لأي مسيحي الحرية أن يشارك طعام قريبه، لكنه لن يشاركه مضجعه].
5. يدعو الكاتب صديقه ديوغنيتس للإيمان.

[الآن، إن رغبت أيضاً أن يكون لك مثل هذا الإيمان، فلتكن لك معرفة الأب كأول درس لك...]

تصور أية غبطة سيدفق بها قلبك لمعرفة! ولكم تندفع في حب من أحبك أولاً.

بحبك له تمثّل بجموده...

إنك ستشجب خداع العالم وضلاله.

يوم تعي حقيقة الحياة المسيحية، تزدري بما يسمونه موت الجسد، لترهب الموت الحقيقي المُعد لمن سيُطرحون نهائياً إلى النار الأبدية جزاء أعمالهم السيئة. وإنك ستتحني إجلالاً وتعظيماً أمام من قاسوا عذاب النار هنا لأجل البرّ، وتغبطهم إذ ما كنت على علم بحقيقة النار الأخرى].

[لتتحد المعرفة بقلبك، ولتتقبل حياتك في داخلها الكلمة. وإذا ما نمت هذه الشجرة (شجرة المعرفة) فيك، وجمعت ثمارها، فإنك لا تكف عن أن تجني ما يُرتجى نواله من الله، وما لا تقوى الحية على الوصول إليه، ولا الخداع أن يتسلل إليه. أما حواء فإنها لم تبق بعد ضحية الإغواء، بل ستظل عذراء، ويُعلن الخلاص].

أقسام الرسالة

1. غيرة ديوغنيتس وأسلته . 1
2. سموّ المسيحية على الوثنية واليهودية . 2- 4
3. سمو الحياة المسيحية . 5- 6
4. أصل المسيحية الإلهي . 7- 8
5. ظهورها مؤخرًا لإظهار عجز الإنسان بذاته . 9
6. دعوة ديوغنيتس لقبول الإيمان . 10
7. الفصلان 11- 12 - يرى البعض إنهما دخيلان يخصّان عملاً آخر، ربّما يكون من عمل القديس بنتينوس عميد مدرسة الإسكندرية^[311]، أو من عمل هيولييتس الروماني^[312]، أو ميليتس أسقف ساردس^[313] Melito of Sardis.

كوادراتس Quadratus

يبدو أنه آسيوي، وقد دعاه البعض Quadratus the Asiatic وأنه تلميذ للرسول ^[314]. أقدم المدافعين عن المسيحية، ونحن ندين ليوسابيوس القيصري في كل ما نعرفه عنه، إذ يقول:

[وبعد أن حكم تراجان تسعة عشر عامًا ونصف، خلفه في الحكم يوليوس ادريان Aelius Hadrian. وقد وجّه إليه كوادراتس حديثاً متضمناً دفاعاً عن ديننا، لأن بعض الأشرار حاولوا إزعاج المسيحيين. ولا يزال هذا المؤلف بين أيدي الكثيرين من الاخوة، ولدينا نسخة منه. وهو برهان قوي على ذكائه وأرثوذكسيته الرسولية. إنه يظهر التاريخ المبكر الذي عاش فيه، وذلك بكلماته التالية:

"على أن أعمال مخلصنا كانت دائماً ماثلة أمامنا أنها كانت يقينية، فإن الذين شفوا والذين أقيموا من الأموات لم يُروا فقط وقت شفائهم أو قيامتهم، بل كانوا حاضرين يوماً، ليس فقط حين كان المخلص على الأرض، بل وأيضاً بعد ذهابه (صعوده)، لأنه ظلوا عائشين مدة طويلة، وقد عاش بعضهم حتى زماننا نحن" ^[315].

ما جاء في كتاب يوسابيوس هو كل ما وصل إلينا من دفاع كوادراتس. فقد ثبت خطأ نظرية Harris بأنه توجد مقتطفات من هذا الدفاع في الاكلمنضيات المزورة وأعمال القديسة كاترين السينائية وتاريخ يوحنا مالالاس Malalas ورواية برلعام وجوزاف ^[316] Romance of Barloram and Joasaph.

قدّم كوادراتس دفاعه للإمبراطور خلال إقامته في آسيا الصغرى في عام ١٢٣/١٢٤م أو في عام ١٢٩م، وربما في أثينا عندما زارها الإمبراطور عام ١٢٥م أو مؤخراً عام ١٢٩م ^[317]. من الصعب اعتباره تلميذاً للرسول. هذا وقد أخطأ القديس جيروم ^[318] حين ظنه كوادراتس أسقف أثينا الذي عاش في أيام مرقس أوريليوس.

من خلال الفقرة التي وصلت إلينا عن طريق يوسابيوس يرى البعض أنه كان يقارن بين عمل السيد المسيح الحقيقي والباقي وأعمال الآلهة الوثنية، أو عمل الشياطين الزائل والمملوء خداعاً. هذه الفكرة وُجدت لدى اللاهوتيين الفلاسفة المعاصرين لكوادراتس.

[1] See F. Cayé: *Patrologie et Histoire de la Theologie, Paris 1945, t 1.*

[2] Patrick J. Hallel: *Introduction to Patrology, 1968, p. 10.*

[3] انظر تك ١: ٢٤ (الترجمة السبعينية)؛ خر ٣: ١٣، ١٥؛ تث ١: ٨؛ أع ٣: ١٣؛ ٧: ٢، ١٢؛ رو ٤: ١٣، ١٦؛ ٢ بط ٣: ٤.

[4] *Marty. Polyc. 12:3.*

[5] *Athanasius: Ep. ad Afros 6.*

[6] *Against Haer 4:41:2.*

[7] *Stromata 1:1:2.*

[8] *Timothy Ware: The Orthodox Church, Maryland 1969, p. 212.*

[9] *St. Augustine: Contra Julian, II 9.*

[10] *St. Augustine: Contra Julian 37.*

[11] *Athanasius: Ep. ad Afros 6.*

[12] *Kelly: Early Christian Doctrines, p. 48-49.*

[13] *Ad Monach PG 77:12,13.*

[14] *Adv. Nest. 4:2.*

[15] *De recta Fide ad regin; apol. contr. Orient PG 76:1212 For; 316.*

[16] *E. Shwartz: acta conciliorum oecumenicorum 1:1, 7:89 F.*

[17] المؤلف: مفاهيم إيمانية (٢): الكنيسة والتقليد، ص ٩.

[18] *J. Quasten: Patrology, vol 1.*

The Oxford Dictionary of the Christian Church, 1974, p. 481.

[19] *Eccl. Hist. 1:1:1.*

[20] *Ep. 40:9 written in 397.*

[21] *F. Arvalo: S. Isidore ..., Rome 1797 to 1803, vol. 5, p. 138 – 178, PL 83 : 1018 – 1106: 96 : 195 – 206.*

[22] يذكر *Questen* وجود طبعة تشمل أغلب المؤلفين ومؤلفاتهم الكنسية من جيروم إلى تريشوس (بالطبع تجاهل الكتاب الشرقيين خاصة غير الخلقونيين):

J. A. Fabricius: Bibliotheca Ecclesiastica, Hamburg, 1718.

كما ذكر وجود عملين آخرين لمؤلفين كنسيين هما:

L. S. Nain de Tillemont: Memoires pour servir a Phistoire ecclesiastique des six premiers siècles, Paris 1693 – 1713.

R. Ceillier: Histoire generale des auteurs sacre's et ecclesiastiques, Paris

وهو يقع في ٢٣ مجلداً، يعالج الكتاب المسيحيين قبل ١٢٥م.

[23] *Quasten: Patrology, vol 1, p. 5.*

[24] يس عبد المسيح: اللهجات القبطية وأثارها الأدبية – عن كتاب: صفحة من تاريخ القبط ص ٣٦.

[25] كانت الكتابة باليونانية أما الوعظ فيالقبطية أو الديموطيقية، وذلك لأن كثير من العامة في القرى لا يعرفون اليونانية. فالقديس أنبا أنطونيوس كان نفسه يجهد

اليونانية، وكان يتحدث مع زائريه بالقبطية.

[26] *Warrell: A Short Account of the Copts, Michigan, 1955.*

[27] جمعية مارمينا بالإسكندرية: صفحة من تاريخ القبط: الدكتور مراد كامل: القبط في ركب الحضارة العلمية؛ يس عند المسيح: اللهجات القبطية وأثارها الأدبية.

[28] لم يكونوا "مونوفزيت" بل ميافزيت" لأن الطبيعة الواحدة عن اللاخلفيونيين ليست طبيعة منفردة *Single* بل الطبيعة واحدة من طبيعتين، لذا لا تدعى

monophysite بل *Miaphysite* كتعبير القديس كيرلس الكبير.

[29] *J. Meyendorff: Christ in the Eastern Christian Thought, 1969, p. 24.*

[30] *Anne Fremantle: A Treasury of Early Christianity, p 275*

[31] *Fr. Gregory Dix: The Shape of the Liturgy, p 485 ff.*

Shaff: History of the Christian Church, vol I, II.

Clarke: Liturgy & Worship

[32] *Whitaker: Documents of the Baptismal Liturgy, p 5.*

[33] *Schaff, vol II, p 523.*

[34] *Liturgy & Worship.*

[35] *Vol I, p 464.*

[36] *Patrology, vol I, p 23.*

[37] كتاب الزامير (ابصلمودية) الملك Aethelstan بالمتحف البريطاني.

[38] *P. L. 21 : 337.*

[39] *P. L. 39, 2 : 89, 2 : 96*

[40] *The Early Christian Frs.*

[41] *Apology 1 : 61.*

[42] Quasten, vol I, p 25.

[43] ما جاء بين قوسين جاء في طبعات متأخرة

[44] ما بين القوسين طبعات متأخرة.

[45] 7-536 Shaff, History of the Christian Church, vol 2, ترجم عن

[46] ما جاء بين قوسين أضيف في المجمع المسكوني ٣٨١ م.

[47] راجع كتابنا: قانون أم للرسل - لديداكية، عام ١٩٧٥م.

[48] Quasten: Patrology, vol. 1, p. 30.

[49] F. L. Cross: The Early Christian Fathers, London 1960, p. 8.

[50] Ep. Fest. 39.

[51] Eusebius: H. E. 3:25:4.

[52] Com. in Symb. 38.

[53] Stromata I: 20, 100.

[54] Ch. 4.

[55] The MS. Was transferred to the library of the Greek Patriarchate at Jerusalem, where it is now (Codes 54).

[56] المطران الياس معوض: الآباء الرسوليون، ص ٥٦.

[57] F. L. Cross, p. 9.

[58] للمؤلف: المسيح في سرّ الإفخارستيا، ١٩٧٣م، ص ٥٦٤ - ٥٧٤.

[59] Vokes: The Riddle of the didache S. P. C. K. 1938.

[60] Richardson: Early Christian Fathers, p 161.

[61] Edgar J. Goodspeed: A History of Early Christian Literature, 1966, p. 12.

[62] Brynnius, Zahau, Harnack.

[63] للمؤلف: المسيح في سرّ الإفخارستيا، طبعة ١٩٧٤م، ص ٥٧٧.

[64] F. R. M. Hitchcock's article in the Journal of Theological Studies, 1923, 397 f.

[65] See Richarson, p. 162.

[66] ANF vol 7, p 373.

[67] Quasten: Patrology, vol. 1, p. 37-38.

[68] R. H. Connolly: New Fragments of the Didache, Journ. Theol. Stud., 1924, 151-153.

[69] لغة سكان جورجيا في القفقاس.

[70] العناوين والتبويب من وضع المعرب.

[71] غالبًا هذا العنوان هو الأصلي، وقد عرف له عنوان آخر مختصر "تعليم الرسل الإثني عشر".

[72] في رسالة برناباس طريق للنور والآخر للظلمة.

[73] مت ٥: ٤٤. الفقرة الأخيرة وردت في القوانين الرسولية، لا يعرف مصدرها.

[74] كإنسان مسيحي لا يقدر أن يطلب برد ما أعطى.

[75] المصدر غير معروف. ربما كتبه عن التعبيرات المتداولة في ذلك الوقت ألا تقدم المحبة أو العطاء بغير تمييز.

[76] رسالة برناباس ١٩.

[77] هنا سكب الماء على الرأس جائز عند ندرة وجود الماء، سمحت به الكنيسة فيما بعد في حالة المرض الشديد، حيث يعجز المريض عن النزول إلى المعمودية، يسميه

البعض Clinical Baptism.

[78] ذكرت "القوانين الرسولية" سبب الصوم يومي الأربعاء والجمعة، أنهما يوما الخيانة والدفن. كان اليهود يصومون الاثنين والخميس. يوم الاستعداد هو الجمعة، حيث كان

اليهود يستعدون للسبت (الراحة) (مت ٢٧: ٦٣).

[79] الأصل اليوناني (بابس) يتذبذب بين المعنيين "ابن" و "خادم" وقد فضل البعض "خادم" متأملين في التسابيح الواردة في إشعيا النبي عن "خادم أو عبد الرب المتألم" -

المسيح في سرّ الإفخارستيا، ص ٥٧١.

[80] أي خبز مختمر.

[81] أو تكتفون.

[82] للنص القبطي: "لنأت النعمة".

[83] تعبير آرامي يعني "تعال أيها الرب".

[84] راجع "المسيح في سرّ الإفخارستيا" ص ٥٤٩ عن مدى حرية الأسقف في تشكيل ليتورجية الإفخارستيا، في نطاق الخطوط الرئيسية التقليدية.

[85] عن النسخة القبطية.

[86] ربما يقصد بالأنبياء هنا جماعة الوعاظ أو الكارزين، برتبة الأسقفية.

[87] ربما قصد التجديف على الروح القدس (مت ١٢: ٣١).

[88] ربما قصد ولائم محبة، أو لعله يقصد أن ينادي بتعليم روحي ولا ينفذه.

[89] of. Chrétiens de tous les temps (1): Les écrits des Pères Apostoliques, Paris 1968.

[90] Maxwell Staniforth: Early Christian Fathers, 1963.

[91] Quasten: Patrology, vol. 1, p. 40.

[92] Irenaeus: Adv. Haer 3:3. 3.

[93] Eus: H. E. 4:23.

[94] Eus: H. E. 2:16, Jerome: *De Vir Illus.*, c. 15.

[95] H. E. 2:15.

[96] *De vir Illus.*, ch. 15.

[97] Bishop Lightfoot: *The Apostolic Frs. (Clement of Rome, vol. 2).*

كان بعض العبيد على جانب من الثقافة والذكاء، ومن أمثلتهم هرملس صاحب كتاب "الراعي"، وكالستوس أسقف روما، كلاهما من العبيد المحررين "الكنيسة في عصر الرسل"، ص ٥٣.

[98] H. E. 3:15, 16, 17.

[99] *Butler's lives of the Saints*, vol. 4, p. 406.

[100] راجع بسطس الدويري: موجز تاريخ المسيحية، الأسقف إسيدوروس: الجريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة.

[101] cf. *Quasten, Patrology*, vol 1; *Maxwelll*, p. 20.

[102] Ch. 6:1, 2.

[103] Ch. 32:4.

[104] Ch. 31:2.

[105] Ch. 33:1, 2.

[106] Ch. 34:1.

[107] Ch. 55:3.

[108] Ch. 16:1.

[109] Ch. 49:4, 6.

[110] Ch. 37:4.

[111] Ch. 46:7.

[112] Ch. 42;44: 1-3.

[113] *Gregory Dix: The Chape of the Liturgy*, p. 102.

[114] Ch. 40.

[115] Ch. 40: 5;41:1.

[116] Ch. 44.

[117] Ch. 36.

[118] Ch. 59-61.

[119] *E. von der Goltz: Das Gebt in dêr abtesten Christenheit*, 192-207.

[120] Ch. 8:1.

[121] Ch. 14:1.

[122] Ch. 14:2.

[123] Ch. 7:6.

[124] *Prof. Riddle: ANF*, vol. 8, p. 53.

[125] *Quasten: Patrology*, vol. 1., p. 58.

[126] Ep. 1:4.

[127] Ep. 1:5

[128] Ep. 1:10; 2:1-15.

[129] Ep. 2:6.

[130] Ep. 1:10.

[131] Ep. 1:11.

[132] Ep. 1:12, 13.

[133] يختلف الدارسون في أصل الأبيونيين *Ebionaioi*، فينسيه البعض إلى أبيون مؤسسهم في القرن الأول، وهذا قول ضعيف، ويقول آخرون أن الكلمة مشتقة عن

"أبيونيم" العبرية وتعني "المساكين"، وقد دعوا أنفسهم هكذا يقول الرب "طوبى للمساكين" (لو ٦: ٢٠؛ مت ٥: ٣) أو دعاهم المسيحيون هكذا لأنهم مساكين في الإيمان.

[134] ظن البعض مثل *Baur* أنهم قصدوا بسيمون الساحر "بولس الرسول" لكن هذا الرأي مستبعد.

[135] راجع: أنبا غريغوريوس: مذكرة عن البيونية لطلبة الكلية الإكليريكية، أنبا يوانس (القمص شنودة السرياني): الكنيسة المسيحية في عصر الرسل، ص ١٣٢، ٢٦٦.

[136] *Schaff*, vol. 2, p. 650.

[137] *Recog. 6: 10: 11' Hom. 11: 28, 30.*

[138] *Hom. 12-6; Recog. 7: 6.*

[139] *Hom. 8: 15.*

[140] *Hom. 2:38; 3:47; 18:20.*

[141] *Hom. 8:10.*

[142] *Hom. 11:20.*

[143] راجع للمؤلف: الشهيدان أغناطيوس وبوليكاريوس، ١٩٦٤م. وأيضاً قاموس آباء الكنيسة وقديسيها، ج ١، ١٩٨٥م، ص ٣٤١-٣٤٣.

[144] *Amastase le Bibliothécaire*, 2:42. *PG. 5:404.*

[145] *In Sanct. Mart. Ignatium. PG. 49:594.*

[146] مغنيسية: مدينة صغيرة بأسيا الصغرى، واقعة على الجنوب الغربي من أفسس على مقربة من نهر مويندر في مقاطعة ليديا، تدعى الآن جوزيل حصار (عن مجلة الكرمة).

[147] تراليا أو ترالس، مدينة في مقاطعة فيجية بالأناضول، موقعها الآن قرية سلطان حصاء.

[148] *Ep. to Rom. 2, 4.*

[149] السنة العاشرة من ملك تراجان (يوسابيوس ٣: ٣٦).

[150] الدكتور أسد رستم: آباء الكنيسة - للقرون الثلاثة الأولى، ٩٨٣م، ص ٣٠-٣١. *Eragrius: His Eoc. I: 16.*

[151] *Codex Medicus Laurentianus, 57:7.*

[152] *Codex Paris, Graec., 1457.*

[153] كلمة "كوسيت" مأخوذة عن اليونانية "ookēw"، تعني "أبدو". *I seem*. ظهر هذا الاتجاه - أكثر منه تعليم محدد رسمي - منذ القرن الأول، ينادي بأن السيد المسيح لم يكن له جسد حقيقي بل ظاهري، وبالتالي لم يتألم ولا صلب... ظهر هذا الاتجاه بأكثر قوة في الغنوسية في القرن الثاني. *Cross: Dict. of the Christian Church, p. 413*

[154] *Ep. to Phlad. 8.*

[155] الأصول المسيحية الشرقية: (١) رسائل رعيية، ترجمها وقدم لها جورج صابر، بيروت، ١٩٧٢م، ص ٣٣.

[156] *Rom. 4:1-2.*

[157] *Rom. 3:2.*

[158] *Rom. 3:3.*

[159] *Magn. 9:1-2.*

[160] *Eph. 7:2.*

[161] *Smyrn. 1:1.*

[162] *Polyc. 3:2.*

[163] الأب يوحنا رومانيس: لاهوت الكنيسة عند القديس أغناطيوس الأنطاكي، ترجمة الأب ميشال نجم.

[164] مغنيسيا ١٠.

[165] أفسس ١٨.

[166] أفسس ١٧.

[167] تراليا ٩: ٢.

[168] تراليا ٩: ١.

[169] زمير ١: ٢.

[170] تراليا ١١: ٢.

[171] روما ١١: ٤؛ ٣: ٤؛ ١: ٢.

[172] تراليا ٢.

[173] زمير ٣: ١-٣.

[174] تراليا ٩: ٢.

[175] *Magn. 5.*

[176] *Rom. 5.*

[177] *Rom. 7.*

[178] *Smyrn. 4.*

[179] *Philad. 9.*

[180] *Rom. 7.*

[181] *Ephes. 13.*

[182] *Ephes. 5.*

[183] *Trall. 7.*

[184] *Magnes. 7:2.*

[185] *Magnes. 8.*

[186] *Trall. 2:1-2.*

[187] *Ephes. 2:1.*

[188] *Ephes. 9:1.*

[189] *Ephes. 21:2.*

[190] *Philad. 1; Trall. 1.*

[191] *Philad. 1.*

[192] *Ephes. 3:1; 8:2; 10:3; 11:1, 2; 12:2; 20:2; 21:2.*

[193] *Ephes. 6:2; Magnes. 3:3; 14; Trall. 4:1; 8:2; Plycarb. 1:1.*

[194] *Ephes. 12:2; Magnes. 14:21; Trall. 12:2; 13:3; Rom. 1: 1; 2:2; 4:1; 9:2; Smyrn. 12:1; Polyc. 12:1; Polyc. 2:3; 7:1.*

[195] *Rom. 5:3; 6:1.*

[196] *Philad. 7: 2; Eph. 9: 2; Magn. 12.*

[197] *Ephes. 7.*

[198] *Magnes. 3.*

[199] *Ephes. 6; Magnes. 6; Tral. 3.*

[200] *Ephes. 15:3.*

[201] *Ephes. 9:1, 2.*

[202] *Ephes. 10:3.*

[203] *Magnes. 1:2.*

[204] *Ephes. 11:1.*

[205] *Ephes. 8:2.*

[206] *Philad. 7:2.*

[207] *Rom. 6:3.*

[208] *Ephes. 20:2.*

[209] *Ephes. 20:2.*

- [210] Philad. 4.
 [211] Magnes. 7:1; Tral. 8: 1; Rom. 7:1; Philad. 4:1; Smyrn. 7:1.
 [212] Magnes. 7:1, 2.
 [213] Ephes 18.
 [214] Smyrn. 1.
 [215] Samyrn 8.
 [216] Ephes 1:1, 2.
 [217] Rom 1, 2.
 [218] St. Irenaeus: *Adv Haer.* 5: 28: 4; *Acts of Perpetua and Felecityus 14*; *Origen: Der Oratone 20*; *In Cant. Prolog.*
 [219] للمؤلف: القديسان الشهيدان أغناطيوس وبوليكرابوس، ص ٧٢.
- [220] Ephes. 10:1.
 [221] Ephes. 10:1, 2.
 [222] Ephes. 15:1.
 [223] Philad. insc.
 [224] Philad. 4.
 [225] Tral. 3.
 [226] Smyrn. 8.
 [227] Magnes. 4.
 [228] Magnes. 7:1, 2.
 [229] Ephes. 2, 5.
 [230] Trall. 7.
 [231] Magnes. 3.
 [232] Ephes. 6:1.
 [233] Trall. 2.
 [234] Tarll. 3.
 [235] Magnes. 13.
 Trall. 3. [236]
 [237] Polyc 1.
 [238] Philad 4.
 [239] Samyrn. 8.
 [240] Polyc. 6:1; 5:2.
 [241] Polyc. 5:1.
 [242] Ephes. 15:2.
 [243] Eusebius; H. E. 5: 20; Irenaeus: *Adv. Haer.* 3: 3.
 [244] الأصول المسيحية الشرقية: رسائل رعية (١)، ص ١٥٥، المناهل المسيحية ١٠، استشهاد بوليكرابوس ١٠.
- [245] *Adv. Haer.* 3: 3: 4.
 [246] *Plycarp 1:1*
 [247] *Eusb. H. E. 4:14.*
 [248] *St. Irenaeus: Adv. Haer. 3: 4.*
 [249] *Quasten: Patrology, vol. 1, p. 77.*
- [250] للمؤلف: الشهيدان أغناطيوس و بوليكرابوس، ص ٨٩ الخ.
 [251] *H. Achelis: Die Martyrologien, p. 17f. Texts in Lietzmann: Die drei aresten Martyrologien (Kl, Texte 2).*
 [252] *Hanz Leitzmann: A History of the Early Church, 1974, vol. 2, p. 138.*
 [253] *Eusebius: H. E. 4:15; E. Schwartz: De Pionio et Polycarbo Gottingen, 1905.*
 [254] *Martyr. Polyc. 14: 1-3*
 [255] *Kenneth Scott Latourette: A History of Christianity, 1953, p. 130.*
 [256] *Eusebius, H. E. 5: 20: 8.*
 [257] *Adv. Haer. 3: 3.*
 [258] *Stromata 2: 6:20.*
 [259] *Against Celsus 1:63.*
- [260] سلسلة آباء الكنيسة: ١ - الآباء الرسوليون تعريب الياس معوض مطران، حلب، ص ٧٣.
 [261] *Irenaeus: Adv. Haer. 5:33:4; Eusebius: H. E., 3:36:1, 2.*
 [262] *Irenaeus: Adv. Haer. 5:33:4; Eusebius: H. E., 3:36:1, 2.*
 [263] *Jean Danielou: The Theology of Jewish Christianity, p. 46.*
 [264] *F. F. Bruce: Tradition, Old and New, Michigan 1972, p. 108.*
- [265] للمؤلف: مقدمات في علم الباترولوجي، ١٩٧٤، ص ٩٥.
 [266] *J. B. Lightfoot: The Apostolic Fathers, Michigan, 1974, p. 262.*
 [267] *Early Christian Fathers, p. 21, 22.*
 [268] *Eusebius: 3:39:11-13; Irenaeus: Adv. Haer. 5:32.*
 [269] *Comm. in Rom. 10:31.*
 [270] *J. Quasten: Patrology, vol. 1, p. 92, 93.*
- [271] سلسلة آباء الكنيسة: ١ - الآباء الرسوليون، تعريب مطران حلب الياس معوض، ١٩٧٠م، ص ١٦٧-١٦٨.
 [272] *Eusebius: H. E. 5:8.*
 [273] *Stromata 1:29.*
 [274] *Comm. on Matt. 14:1.*
 [275] *Eusebius: H. E. 3:25.*
 [276] *Letter on the Acto of the Niciene Council, 18.*

- [277] *De Pudicitia* 10.
 [278] *De vir. il.* 10.
 [279] Jules Lebreton: *The History of the Primitive Church, London 1944, vol. 2, p. 370.*
 [280] J. Quasten: *Patrology, vol. 1, p. 96-97.*
 [281] *The Shepherd, Vision 3:11-13.*
 [282] Lebreton: *The History of the Primitive Church, vol. 2, p. 372.*
 [283] *Command 4:3.*
 [284] Quasten: *Patrology, vol. 2, p. 98.*
 [285] *See The Shepherd, Command. 9.*
 [286] *The Shepherd, Command. 9.*
 [287] *The Shepherd, Command. 9:1:1.*
 [288] *The Shepherd, Vision 2:4:1.*
 [289] *The Shepherd, Vision 3:8:9.*
 [290] *The Shepherd, Vision 3:9:1.*
 [291] *The Shepherd, Command. 9:9:7.*
 [292] Lebreton, p. 376-377.
 [293] *Vision 3:3:5.*
 [294] *The Shepherd, Command. 9:16:3, 4.*
 [295] *The Shepherd, Command. 6:2:1-4.*
 [296] *The Shepherd, Command. 6:2:1-4.*
 [297] *The Shepherd, Command. 8:8; 1:9:1; 9:20:1; Vision 3:6:5-7.*
 [298] *The Shepherd, Command. 4:1:8.*
 [299] *Ibid. 4:4:1-2.*
 [300] *A collection of the Athos codex of the shepherd of Hermas together with an introduction by Sp. P. Lampros. Traslated and edited by J. Armitage Robinson, Cambridge 1888.*

[301] سلسلة آباء الكنيسة: ١ - الآباء الرسوليّين، ص ١٧١-١٧٣.

- [302] F. L. Cross, p. 27.
 [303] *H. E. 4:3:2.*
 [304] Quasten, vol. 1, p. 248-9.
 [305] *Zeitschrift für kirchengeschichte, t. XLIII, 1924, p. 350.*
 [306] Maxwell Staniforth, p. 171.
 [307] H. Puech: *Histoire de la littérature grecque chrétienne, t. 2, p. 217.*
 [308] I. M. Sailer, *der Briefan Diognetus, eine Perle de Christlichen Alterthums, Munich, 1900, Apologie, 15-4.*
 [309] جورج صابر، ص ٢٠٧.
- [310] *Apology 39:11.*
 [311] H. B. Swete: *Patristic Study, 1904, p. 46 n.*
 [312] Maxwell Staniforth, p. 172.
 [313] Edgar Goodspeed: *A History of Early Christian Literature, 1966, p. 105.*
 [314] Patrick J. Hamell: *Handbook of Patrology, 1968, p. 36; H. Musurillo: The Fathers of the Primitive Church, 1966, p. 117.*
 [315] راجع ترجمة القس مرقس داود، ١٩٦٠م، ص ١٦١.
- [316] Quasten: *Patrology, vol. 1, p. 191.*
 [317] E. J. Goodspeed: *A History of Early Christian Literature, 1966, p. 96.*
 [318] *Vir. Illust. 9; Ep. 70:4.*